رؤية الصوفية لحرب 15 أبريل

ودور المسيد في مواجهة الأزمة الإنسانية التي أفرزتها الحرب

دكتور عبد الجليل عبدالله صالح



رؤيـة الصـوفيـة لحــرب ١٥ أبريــل

ودور المسيد في مواجهة الأزمة الإنسانية التي أفرزتها الحرب

دكتور عبدالجليل عبدالله صالح

الفهرس



المقدمة

يهدف هذا البحث إلى معرفة رؤية أهل التصوف للحرب التي نشبت في الخامس عشر من شهر أبريل ٢٠٢٣م بين القوات المسلحة وقوات الدعم السريع. كما يهدف إلى بيان الدور الذي اطلع به المسيد لهذه المجمعات الصوفية في توفير الإيواء، والغذاء، والدواء. ولجمع البيانات كان قد أجريت مقابلة مع بعض المتصوفة والمهتمين بالظاهرة الصوفية في المجتمع السوداني، وقد استعنت أيضا على بعض المعلومات، والمواد المصورة من بعض المجمعات مباشرة: ما هو الدور الذي قام به المسيد في مواجهة الأزمة الإنسانية التي أفرزتها الحرب؟

وكديدن الحروب -دوما- من استهداف للبشر بالإيذاء، والعنف البدني، والنفسي، والقتل، والتقتيل، والتدمير، والخراب المصاحب لذلك لبنية العمران البشري خلافا لرسالة الاستخلاف في الأرض، وعمرانها.

كانت ومازالت رؤية أهل التصوف للحرب بأنها حرب المتضرر فيها الوطن، والمواطن، فتجدهم من الداعمين لوقفها، مكثرين من الدعاء، والابتهال إلى الله لتهدئة النفوس، وتحكيم صوت العقل في إيقافها، أما عن دور المسيد خلال هذه الفترة فقد جاءت إفادتهم أن المسيد كان هو الملاذ الآمن

الذي لجأ إليه الضيوف، والوافدون، وذلك على حد تعبير عدد من شارك في المعلومات الواردة في البحث.

وما أريد التنبيه إليه ونسبة لظروف الحرب فإن صعوبات الحدث تمثلت في صعوبة التواصل عبر المكلمات العادية، أو الإنترنت، وكعينة مثلت الدراسة تمكنت من التواصل مع عدد مقدر من أصحاب الطرق الصوفية. مثلت إفادتهم الرافد الأساسي الذي عكس واقع الدراسة في ميدانها العملي، علما بأن عدد الطرق الصوفية الرئيسية في السودان هو أربعون طريقة منتشرة في ربوع الوطن كما ذهب إلى ذلك عدد من الباحثين.

وفي خاتمة هذه الأسطر نتضرع إلى العلي، القدير أن يطفيء نار هذه الفتنة، وينعم على وطننا الحبيب بالسلام، والاستقرار، والتنمية.

د. عبدالجليل عبدالله صالح
العقيق- الباحة
٢٠٢٣/١٢/٢٤م

الطرق الصوفية والإسلام في السودان

دخول الإسلام إلى السودان كان يختلف عن البلاد العربية الأخرى، فبرز إسلام له مميزاته، وظروفه الخاصة، فالدخول السلمي للإسلام، والتسرب البطئ له خلال سبعة قرون، وهي فترة معاهدة البقط التي كانت بين المسلمين وبلاد النوبة في السودان، كل هذا أدى إلى نوع من التعايش السلمي بين الإسلام، والموروثات المحلية، فاتسم المناخ بتسامح لم تشهده كثير من المناطق التي عبر بها الإسلام مثل: الشام، والعراق ومصر، ثم جاء دور الطرق الصوفية التي نشرت الإسلام بالطرق المبسطة بالإضافة إلى بساطتهم، وزهدهم، وهذه البساطة هي التي شقت للإسلام دروبه للانخراط في الحركة التاريخية السودانية.[١]

وكانت الطرق الصوفية هي أكثر المؤسسات نفاذا في الإسلام السوداني، كما كان للذين يطلق عليهم، لزهدهم، اسم الفقرا، أي الفقراء، القدح المعلى في نشر الإسلام، فنفوذ هؤلاء فاق إلى حد كبير نفوذ الفقهاء (علماء الدين)، لأن أسلوب الفقهاء الجدلي (casuistic)، واستخدامهم المكثف

١- محمد سعيد القدال. الإسلام والسياسة في السودان. دار الجيل – بيروت. ١٩٩٢ .

للفقه للتقرير بشأن السلوك الإنساني، كان أقل جذبا للسوداني العادي. لهذا السبب، كانت جهود المتصوفة، بكل ماصحبها من رياضات روحانية، ومعالجات باطنية، هي القوة الدافعة لتوحيد المسلمين في السودان، أكثر بكثير من تعاليم الفقهاء.[٢]

ومن الملامح المهمة التي يجب الوقوف عندها كذلك هو رقة التدين عند أهل السودان عند انتشار الإسلام في السودان بمعنى أن الانتساب للإسلام ما كان يتطلب الأخذ بالكثير من العزائم، وأحيانا كثيرة يكتفى من المسلم بالنطق بالشهادتين فقط، وبعد ذلك تدريجياً تكتسب أركان الإسلام، ويتم التباعد عن نواهيه، وعدم التشدد كمهج يرجع للفكر الصوفي الذي دخل السودان، فقد كان لا يأبه كثيراً بظواهر الشرع، ولا يضعها مانعاً في الانتساب للإسلام، ولعل في ذلك حكمة كبيرة تدور حول التدرج، وسهلت كثيراً من انتشار الإسلام، وتعايشه مع الملل الأخرى فلو أخذ المسلمون الأوائل الذين جاءوا إلى بلاد السودان أخذوا الناس بالشدة، وفرضوا عليهم الدين، لكانوا قد أظهروا فظاظة، وغلظة، ولانفض الناس من حولهم.

في كتابه الموسوم بـ» الفجر الكاذب: نميري وتحريف

٢- منصور خالد. السودان أهوال الحرب.. وطموحات السلام قصة بلدين. دار تراث- لندن- ٢٠٠٣، ص-١٣٩/٤٠

الشريعة»، وعن دور الصوفية في نشر وتثبيت أركان تعاليم الدين الإسلامي في السودان، كتب الدكتور منصور خالد:» أن الإسلام ما كان ليستكين في وجدان أهل السودان لولا تعاليم الفقهاء، والمتصوفة الأول الذين وفدوا إلى ديار الوثنية، والمسيحية كدعاة مرشدين، لا كغزاة فاتحين، ولعل هؤلاء الرجال كانوا يدركون ما حاق بجيوش الفتح التي وفدت من الشمال لتخضع أهل النوبة للإسلام بحد السيف، ولم يكن سبيل هؤلاء الرجال في نشر الدين إكراها حملوا به أهل السودان على النوافل، بل مهاداة حببت إلى قلوبهم الفروض. ومع هذه الحسنى، والمهاداة كانت التربية، وكانت القدوة هذا هو المنهج الذي سار عليه هؤلاء الفقهاء، بل هذا هو الأساس الذي أقاموا عليه بنيان الإسلام في السودان. فدين الله متين لا يوغل فيه إلا العارفون إلا برفق، وقاد هذا الإدراك الواعي لماهية الدين، وطبيعة أهل السودان هؤلاء العلماء والمتصوفة لقبول كل صالح من أعراف أهل السودان، وعاداتهم الموروثة التي تواطاوا عليها، والتي لا تخرج عن جوهر الدين، وإن جافت بعض أحكام الشرع.[٣]

ومشايخ الصوفية –كما يحكي التاريخ– لم يرفعوا سيفا، ولا بندقية في منحى سعيهم لنشر الإسلام، ولكنهم راحوا في ثبات عظيم يشيدون بناء الإسلام في القلوب، ويوسعون رقعته، يبنون قلاعا من الإيمان، واليقين فكانوا أشد وقعا

٣- منصور خالد. الفجر الكاذب: نميري وتحريف الشريعة. ص– ٣٠٤

على الأعداء ممن حاربوهم بالسلاح، وكانوا أعظم أثرا في حياة الأمة، لأنهم عملوا ليل نهار على تسليحها بالسلاح الذي لا يقهر، وهو الإيمان، وذكر الله.

أشهر الطرق الصوفية في السودان

ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن هناك أكثر من أربعين طريقة صوفية في السودان، والحق أن التصوف في السودان مدارس مختلفة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد داخل المدرسة الواحدة مدارس، ومشارب منبثقة من الطريقة الأم. فهناك الختمية، التجانية، البرهانية، الأحمدية، الهندية، الإسماعيلية، السمانية، الإدريسية، والقادرية بمدارسها المختلفة، كالقادرية الصادقاب، والقادرية العركية، والقادرية المكاشفية، والقادرية الكباشية، والقادرية البدرية، وقادرية كدباس، وقادرية الشيخ إدريس ود الأرباب، وقادرية الشيخ حسن ود حسونة. فهذه الطرق ليست كالأحزاب السياسية ذات المرجعية، والمركز الواحد، إنما هي متعددة المراكز، متنوعة المشارب، ومع تعددها ذات هدف، ورسالة، وغاية واحدة، ألا وهي قيادة العباد إلى رب الأرباب[٤].

سمات المنهج الصوفي في السودان

في الواقع إن المنهج الصوفي في السودان، كان قد تميز بعدد من السمات والخصائص، والتي جعلته مختلف تماما عن

٤- عبدالجليل عبدالله صالح. الصوفية والسياسة في السودان. دار المصورات للنشر – الخرطوم ٢٠٢٢، ص ١١٦.

منهج الإسلام السياسي، نذكر من هذه الخصائص:

- المحبة.
- التسامح.
- البساطة.
- المرونة.
- الاعتدال وعدم التزمت.
- قبوله للتنوع والتعدد.

يرى الدكتور حسين مروة أيضا أن انتقال الصوفية للسودان كان له خصوصيته، فرجال الصوفية هم الذين قادوا حركة التبشير المنظم في السلطنة الزرقاء وسهول البلاد، حيث كانوا يقيمون الخلاوي التي لا تنطفيء نارها، ويطعمون الجائع، ويعطون المحروم، وقد وجد الناس في كنف الصوفي، ودفء ردائه ملاذا من عواصف الدهر، وتقلبات الحياة، وكتاب «الطبقات» في أصول الأولياء، والصالحين، والأمراء، والشعراء في السودان «لمحمد ود ضيف الله» يعكس تحيز رجال الدين وعامة أهل السودان للمتصوفة على حساب علماء السنة.[٥]

جاء إهتمام أهل الطريق الصوفي ومنذ نشأته نحو قضايا المجتمع، وعليه فقد صاغوا خطابهم حول طبيعة المجتمع، عملا على بث القيم، والفضائل فيه، مع شدة حرص منهم على بث روح التزكية.

٥-محمد سعيد القدال. الإمام المهدي محمد أحمد بن عبد الله ١٨٤٤-١٨٨٥، دار الجيل بيروت، ١٩٩٢، ص- ٢٥.-٧٤

المسيد المؤسسة الصوفية الخالدة

ولعل من أهم مقومات الإسلام الشعبي (الصوفي) في السودان مؤسسة المسيد. يرمز «المسيد» في السودان إلى قيم، ومعان شكلت خصائص مجتمعه المتفرد بميزات تداخلت في نسيجه؛ وبلورت وشائج التكافل، والتراحم التي عرف بها السودانيون عبر تاريخهم؛ خاصة في أزمان الأزمات والمحن.

فإلى جانب الرسالة الأساسية التي يقوم بها المسيد، والخلوة في تعليم القرآن، وفقه العبادات، والمعاملات، فإنهما يشكلان مراكز استقرار، وبوتقة، وانصهار مختلف الانتماءات القبلية، والعرقية، وتصبح الروابط بين رواد هذه الأماكن أقوى، وأمتن من وشائج القربى، والمصاهرة.[٦]

كتب الدكتور عبد القادر محمود في كتابه الطوائف الصُوفيَّة في السُودَان ليقول» التَّصَوُّف ألغى العصبة القبلية العنيفة، وأزال كل تمايز»[٧] ، وإن رجعنا إلى كتاب طبقات ود ضيف الله نجد أنّ المسيد سابق للدولة الحديثة في صهر المجتمع وفق أساس التَّسَامُحْ، والتصالح، وإعلاء مبدأ قبول الآخر، ليكون

٦- يحيى العوض. الطريق لاتجاه واحد.. السربون —كركوج- الزريبة قبسات من مجاهدات الشيخ بشير الصامت. دار القوم للطباعة والنشر، الخرطوم، الطبعة الثانية بدون تاريخ، ص- ٧.

٧- عبد القادر محمود. الطوائف الدِّينِيَّة في السُودَانِ.

القبول في الأرض مؤيداً بقبول السماء[٨].

وانطلاقاً من المسِيد اخترقت الطُرُق الصُوفيَّة في كثير من بقاع العالم (السُودَان مثلا) الحواجز القبلية والإقليمية، وتجاوزت بمسلكها الأخلاقي أطر التعصب ساعية بنحو عفوي لإيجاد تدامج وطني يشمل كل الفئات، فكانت الصُوفيَّة العابرة للأقاليم هي الرد الوحيد على أشكال التجزئة، كما كان لشيوخ الخلاوي (الزوايا) أثاراً كبيرة في نشأة المدن، وتدامج السكان، كما تؤكد بعض الدراسات في السُودَان أن كل التدامج الحادث بمنطقة الجزيرة، يعود إلى جهود الطُرُق الصُوفيَّة مع وجود عوامل أخرى متداخلة منها ما هو اقتصادي، وسَياسي، واجتماعي[٩].

لقد كان دخول الطُرُق الصُوفيَّة في بلاد السُودَان تطوراً كبيراً جداً في الواقع الاِجْتِمَاعِيِّ السُودَاني، فبعد أن كان المجتمع السُودَاني لا يعرف الولاء إلا للقبيلة، أصبح بعد دخول الصُوفيَّة ينتسب لها الأفراد من قبائل مختلفة، فتحقق بذلك قدر عال من التدامج الجديد، فكان كما قال أحد الرحالة أنك تجد عند مدخل خلوة الفكي نعال الشايقي،

٨- محمد خيرالله عوض الله. الحل عند أهل التصوف..http://almndranews.com/٥٥٩٣/

٩-عثمان عبدالله أحمد يوسف. الطُرُق الصوفية وعلاقتها بالحكومات في السُودَانِ (١٥١٠-١٨٩٨). بحث مقدم لنيل درجة الماجستير (تاريخ) لكلية الآداب جامعة النيلين، ٢٠٠٢م، ص٧.

والدنقلاوي، والجعلي[10].

في كتابه الميل إلى المراعي، يكتب الأستاذ محمد عبد القادر سبيل: «من المسِيد انحدرت قيم وسمات شخصية محددة، تعد من مميزات السلوك السُودَاني، ومن ذلك التواضع، والتَّسَامُحْ، والزُّهْد، وتمجيد الفقر، والانحياز للضعيف، وعدم الإعتراف بالتمايز، أو النبوغ، والتشكيك في مشروعية حالات النجاح اللافتة، وكذلك بساطة الطعام، والملبس، وتواضع العمران، وغير ذلك كثير مما كان يتلقاه الفرد من أخلاقيات، وقيم تحولت مع مر الأيام إلى أعراف، ومحددات سلوكية (أي ثقافة بالمعنى الأنثربولوجي)، توارثتها الأجيال حتى لتجد تمظهراتها عند من لا صلة له بتربية (حيران) المسِيد مباشرة ".[11]والمسيد في السودان هو البرلمان الذي تحل فيه قضايا الخصوم، ورأب الصدع بين المتخاصمين، ولا يخلو مسيد من مسايد البلاد من ممارسة هذه المهمة النبيلة. فالشواهد والأمثلة لذلك من الكثرة بمكان بحيث لا تسعها هذه الأسطر من وريقات الكتاب، فلنستشهد بطرف من هذه الأمثلة، والتي بدورها تقف دليلا على دور المتصوفة في تثبيت قيم السلم الاجتماعي، وها هو أبونا الشَّيْخِ إدريس ود الأرباب قد أرسى الصلح بمسيده بالعيلفون بين الفونج، والعبدلاب إثر معركة كركوج الشهيرة، والتي قتل فيها الملك

١٠-عبد اللطيف البوني و عبد اللطيف سعيد. البرعي رجل الوقت. مصدر سابق.

١١- عارف نشيد. سودان ثورتك وخليلك سوداني. استشارة ١٨- مايو- ٢٠١٩م. https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/50=board&print=seq?cgi.bb٢ msg&0=١٥٥٤٢٠٤٧١٦&rn=١٦

عجيب المانجلك، وكيف أفضى هذا الصلح إلى اندماج كامل بين الفونج والعبدلاب بقيام الدولة السنارية، وفي مسيد ودبدر بأم ضبان عقد الشَّيْخِ العبيد ود بدر الصلح بين قبيلتي البطاحين، والشكرية، بعد حرب ضروس بينهما دامت ست سنوات (١٨٧٠-١٨٧٦)، استحر القتل فيها بأبناء، وأمراء القبيلتين، فأقام الصلح وفصلهما بالوادي الحسيب، وقال قولته المشهورة: (الِبْتَعَدا الحَسَيبْ عَقاُبو بسيْب).[١٢]

وقد أصبح مَسِيد ود الأرباب في العيلفون هو المرجعية الدينية لملوك الفونج، والعبدلاب، يعودون إليه كلما جد شأن، أو لفض نزاعات تكون الكلمة الفصل فيها لصاحب المسيد، وقد اعتبرت العيلفون العاصمة المقدسة لملوك السلطنة الزرقاء[١٣]، المسيد جزء لا يتجزأ من الحياة السُودَانية واستمراريته، لا ترتبط بمنظومة سَياسيُّة معينة فهو منظومة قائمة بذاتها[١٤].

١٢-topic-com/t٤١٨.https://omdoban.yoo٧

١٣-B٪D٨٪٨٥٪D٩٪/٤/٤/٢٠٢٢/https://www.aljazeera.net/culture ٪٣AF-٪٨A٪D٨٪D٩٪B٣٪D٨٪٨٥٪D٩٪٨٨٪AF-٪D٩٪AC٪D٨٪D٨ -B٣٪٨A٪D٨٪D٩٪B١٪AF٪D٨٪D٨٪A٥٪٪D٨ -٪D٨٪B١٪D٨٪A٣٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪AF-٪D٨٪D٨٪٨٨٪D٩٪ -B٢٪D٨٪٨٣٪D٩٪B١٪D٨٪٨٥٪D٩٪-A٨٪D٨٪A٧٪D٨٪A٨ ٨A٪D٩٪٨٦٪٨A٪D٩٪AF٪D٩٪D٨٪

١٤-حاتم الياس. "السِيَاسَة وسجادةالُمتصوِّفة". https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:_E٤TKmQM sJ:https://www.sudanakhbar.com_٦/٣٢٣٦٢+&cd= ١٥&hl=ar&ct=clnk&gl=sa

دور الصُّوفِية في نشأة القرى والمدن في السُودَان

وجل مدن، وقرى السُودَان أسست بالحياتين أعني «القرآن والماء»، فما من شيخ عارف حل بمكان ما الإ أوقد نار القرآن لهداية الأنام، وبئر الماء لإعاشة العباد، والأنعام، فجنبوا الذوق العام مغالطته للكلام، وقدموا الظرف العملي من الدين المتجسد في الشَّيْخ القائم فيهم بما يشبه مقام النبي ﷺ ، وعلى قدمه، واقتفاء سيرته، وسنته، فانتشر الإسلام ببعده الخيري السامي التكافلي.[١٥] فمن المدن التي قامت على أكتاف أهل التصوف في البلاد، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: مدني السني، دامر المجذوب، طيبة الشيخ عبدالباقي، الشكينيبة، طابت الشيخ عبدالمحمود، الحاج عبدالله، الصابونابي، طيبة الشيخ القرشي، طابت الشيخ السماني، أم ضوابان، الزريبة، كدباس، وغيرها.

فض النزعات والقضاء على العصبية الجهوية

إن للصوفية دوراً عبر الزمان بالسودان في تقارب المجتمعات، وائتلافها، فمثلما تقارب في الماضي بين القبائل ودمجتها في بعضها، فإنها تقارب اليوم بين القرى، والمناطق المختلفة، وهذا على المستوى الأفقي، أما رأسياً فإنها تقارب بين مختلف طبقات المجتمع، فنجد أن الغني، والفقير، والمتعلم، وغير المتعلم، المزارع، والتاجر كلهم إخوان طريقة واحدة، وسالكون على يد شيخ واحد.

١٥-طارق المادح. الإنقاذ ثورة للذكر. مجلة الفيض ص١٣.

والصوفية قوم اختصهم الله بالقبول، والمحبة من الناس، مما يسر لهم أن يلعبوا دوراً بارزاً في فض النزاعات بين الأفراد، والجماعات بالمجتمع السوداني، والدور الوقائي من الأدوار الرئيسية التي تقوم بها الطرق الصوفية بملء فراغ الشباب، وإشغالهم بأفعال الخير، وكذا الأجاويد، وحل النزاعات، وهي من الأدوار المشتركة بين منظمات العمل التطوعي، والطرق الصوفية، كما أنهم يقومون بدور النصح للحكام، ولا يتخلفون عن ذلك، ولا يرهبون، وكان لهم دور بارز كأجاويد خير في فض النزاعات الدموية، والخلافات بين الحكام، والأسر الحاكمة فيما بينها، وكانت وساطتهم تجد القبول، والاستحسان، وعلى الرغم من ذلك فإنهم كانوا يتجنبون الوقوف بأبواب السلاطين طلباً لأمر شخصي[١٦].

لقد كان للصوفية دور كبير في الدبلوماسية الشعبية على الصعيدين المحلي، والدولي، وكانوا يقومون بما يقوم به السفراء، ولا زال السادة الصوفية هذا دأبهم إلى يومنا هذا يجتهدون في الاطلاع بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفض المنازعات، والشفاعة، والجودية، والتوسط، وإصلاح ذات البين، وللتحكيم، والصلح جذور ضاربة في الإرث الصوفي في إفريقيا، والدول العربية، والبلاد الإسلامية على امتداد البسيطة غير أنه متأصل لدى أهل السودان،

١٦- عبدالجليل عبدالله صالح. الدور الديني والاجتماعي والأدبي للطريقة السمانية بأم عيدان. دار عزة للنشر، الخرطوم ٢٠٢١

وهو نظام غير مكلف، وسريع، وله آثار قوية، وترتاح إليه النفوس لبساطته، وسهولته، ووجود سند له في القرآن الكريم، ولما فيه من عبقرية، وحنكة، ودراية لدى المحكمين، والمصلحين من الشيوخ، والشخصيات الاجتماعية البارزة في تفهم لنفسيات، ومطالب الشاكين، وكذلك لمقدرتهم على امتصاص الآثار السلبية للمنازعات، بما يضمن دوام الاستقرار، والأمان للمواطنين. ولعل المقارنة بين منظمات العمل التطوعي، والطرق الصوفية في أنشطة فض النزاعات، توضح رجحان كفة شيوخ الطرق الصوفية في هذا النشاط، فالطرق الصوفية تتسم بالتغلغل في جذور المجتمع السوداني، وتنتشر على اتساع الريف السوداني، حيث تقع أكثر النزاعات حول ملكية الأرض، والمرعى، فيحتكم المتخاصمون إلى مشايخ التصوف، ويرضون بما يحكمون، وتطيب به نفوسهم. ومن أكثر النزاعات التي يتدخل فيها شيوخ الطرق الصوفية هي قضايا المواريث، والأحوال الشخصية، حيث يحلون النزاعات التي تقع بين الأقارب، والأزواج، ولعل شعور الناس بأن شيوخ الطرق الصوفية هم حماة العقيدة، والعرف، ولهم تمكن في ثقافة المجتمع، ودراية بالحلال ، والحرام، وبالخطأ، والصواب، والشرف، والعيب يعين ذلك كثيراً في الرضا، والقناعة[١٧].

١٧_ https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=٨٦٠٨٥٢٥٩٥٤٠٥٢٨٣&id=١٨٧٤٧٩٩٩٧٣٣١٢٤٨&substory_index=٠

لقد لعبت الطرق الصوفية دوراً رائداً في تدامج المجتمعات السودانية منذ القرن السادس عشر، وقد اخترقت الحركة الصوفية الحواجز القبلية، والإقليمية، وتجاوزت بمسلكيتها الأخلاقية أطر التعصب، ساعية بكل قوتها – وعلى نحو عفوي – لإيجاد تدامج وطني عام يشمل كل الكيانات، وكان للحركات الصوفية دور لايستهان به في تدامج مجتمع الجزيرة حتى أصبح انتماؤهم إلى منطقة الجزيرة، وليس إلى قبائلهم، ولعل أسطع مثال على ذلك هو أن تجمع الناس حول مقامات الأولياء، وتداخلهم جميعها جعلهم يتجاوزون العصبية القبلية، فتحولت الوحدة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد هي القرية، فما من قرية من قري الجزيرة تقطنها قبيلة خالصة، بل عدة قبائل متداخلة، فأصبح الفرد يعرف بقريته، أو طريقته، وليس بالقبيلة، ولأن معيار الطريقة هو التقوى، أصبح السلم الاجتماعي مبنياً على التقوى، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى[١٨].

الدور الإصلاحي

إن المجتمعات بصورة عامة لا تخلو من وجود فئات المنحرفين، وأهل الجنح، وتكون هذه الفئات في الغالب الأعم مصدر

١٨- أبو عاقلة الترابي. دور الصوفية في المجتمع. على الرابط /https://www.facebook.com/majmaasufi
٪D٨/photos/٪D٩٪AF٪٨٨٪

اضطراب أمني، وخلل اجتماعي، إذا أهمل أمرها، وتحتاج هذه الفئات إلى العلاج، والرعاية، والمواساة، ومهما بلغت كفاءة الأجهزة الرسمية، فإنها بحاجة للمساعدة الشعبية للحصول على العلاج الناجع، إن الدور الإصلاحي للشيوخ يهتم بمعاونة ذوي الاضطرابات العقلية، والنفسية، ورعاية الأحداث، ومكافحة المخدرات، والبغاء، والخمور، ونحأول، فيما يلي أن نتطرق لدور المسيد في حل بعض هذه المشاكل.[١٩]

الرعاية الاجتماعية ورعاية الأحداث

المقصود بالرعاية الاجتماعية رعاية اللقطاء، والأرامل، واليتامى، وهو من الأهمية بمكان، ومن المهم عدم عزل هذه الشرائح من المجتمع، وفي كثير من المسايد، يوجد اهتمام بهذه الفئات، فيقوم المسيد بتدريس وإطعام الأيتام، وتبني اللقطاء، وإعطائهم اسم الشيخ، كما يتناول المتسولون وجباتهم، وضعفاء العقول بدون أي اعتراض من المسؤولين بالمسيد، ويوجد الآن إجماع بين معظم علماء النفس، والعقوبات الجنائية بأن أفشل وسيلة لإصلاح الأحداث هي حبسهم في السجون، أو عزلهم في الإصلاحيات بعيداً عن المجتمع، لذلك يوفر المسيد لهذه الفئات مبدأ الدمج في الحياة الاجتماعية السامية، فكانت المسايد، والخلاوي في

١٩- المصدر نفسه.

بلادنا مأوى للقادمين، وعوناً للمظلومين، وساعد في ذلك اعتقاد الناس في المشايخ، وكراماتهم، وصلاحهم، وبركتهم، وبالتالي قبول السلاطين والأمراء لشفاعتهم، وهنالك أمثلة كثيرة علي ذلك في طبقات ود ضيف الله، وكانت الخلاوي ملاذاً للفارين من سطوة بعض الحكام، ومن عقوبات القتل، وهؤلاء كانوا يحتمون بها لاعتقادهم أنهم يكونون في مأمن من القصاص، كذلك الخلاوي كانت محلاً لحل النزاعات بين الجماعات، ويذكر نعوم شقير أن الجعليين كانوا في عهد الفونج إذا وقع قتل احتمى المذنب منهم بمشايخهم، وفقهائهم ثم ينظر في أسباب القتل، ويحكمون على القاتل بالعفو، أو القصاص، وكان توسطهم في مثل هذه المواقف سبباً في إخماد نار فتن، واستئصال جذور عداوات، لو أطلق لها العنان لأحدثت تصدعاً في بنيات مجتمع ذلك العهد.

وكانت المسايد أيضاً ملاذاً للفارين خلال سنوات المجاعة، وكان الناس يجدون العون من الشيوخ الذين كانوا يقدمون لهم ما يأتي به الناس من الأكل، والطيبات، ويروى في ذلك عن الشيخ إدريس ود الأرباب أنه كان يقسم الأموال، والهدايا التي ترد إليه على الناس، فلا يبقي منها شيئاً.

ومن دلائل تشبع الشيوخ بروح الإنفاق ما يروى أن

فقيهاً كان يذبح لكل خلوة من خلاويه الإحدى عشرة شاتين كل يوم، وآخر نزل من حصانه، وباعه ليقسم ثمن حصانه على المساكين في شهر رمضان، وهم بذلك أول من ابتدع الإفطار الجماعي في رمضان، ولوحظ أن حالات الانحراف التي وقعت لأحداث بالأحياء بإغراء من قرناء السوء تم علاجها بالمسيد، وتقوم الآن كثير من الأسر بتسليم أبنائها الأحداث إلى معلمي الخلاوي، وشيوخ المسايد، مما يؤدي لتقويمهم، وتهذيبهم تأثرا بزملائهم[٢٠]

وفي رأي الإمام الصادق المهدِيّ أن الطُرُق الصُوفيَّة صالحة لدعم المجتمع المدني مع اهتمامها بالمبادرة في تقديم الخدمات ومنها التعليمي، والصحي، وفي ذلك يكتب ليقول: « الطُرُق الصُوفيَّة صالحة لدعم المجتمع المدني، والاهتمام بأنشطة اجتماعية، وخدمية في التعليم، والصحة، وإغاثة المحتاجين».[٢١]

إن التَّصَوُّف لما له من عمل، ومنهج راسخ في التربية، والتزكية، تبدأ بالفرد السالك وتمتد إلى المجتمع صعودا، وذلك يجعل من التَّصَوُّف أحد المحددات الأساسية للمنظومة القيمية في المجتمع بل، والأكثر تأثيرا، وهذه المنظومة

٢٠-) https://arar.facebook.com/majmaasufi/photos/a.١ -- ٨٨٤٣٧١ -- ٤١ -- ٣٣١ -- ٥٠٠,١ -- ١٨٨٤٢١٣٣٧٩٩٩٧٤٧,٠٧٣٧٤١٨٢٦/٣٨٢٥٠٤٤١٨٥٩١٤٣٧/?type=٣

٢١-الصادق المهدي. نحو مرجعية إسلامية متجددة ومتحررة من التعامل الإنكفائي في الماضي والتعامل الاستلابي مع الوافد. القاهرة مكتبة جريرة الورد. ٢٠١٠،ص ٢٥٤.

تجعل دوره يتجاوز توصيفات المفكرين بأنه أحد منظمات المجتمع المدني، والدارج أن دورها إما منظمات مطلبية كالتنظيمات السياسية، والنقابات، أو تنفيذية كمنظمات العون الإنساني، أو تثقيفية كالجمعيات، والروابط الثقافية، فهو بمنظومته، وهيكليته، وعمق تأثيره مؤهل أن يقوم بالأدوار المذكورة، بل ويتجاوز ذلك ليشكل سلطة مجتمع رقابية على مؤسسات الدولة، وأفرادها كالصحافة، ولكنها أعمق إذ أنها سلطة اجتماعية، وأقوم، إذ أنها محكومة بمجموعة قيم وأخلاق، ولا تكسّب فيها[٢٢].

٢٢- المصدر نفسه.

التكية والتكايا

(كان ما عجيني منو البجيني)

كانت تكايا الصوفية بمثابة القنوات التي من خلالها يشارك المتصوفة في الحياة اليومية، وتعتبر أيضًا اللبنة الأولى لبنية الطريقة الصوفية، يقول الشاعر عمر الخيام في احدى رباعياته مخلداً اسم «التكية»:

إذا لم أنَل وردًا فحسبي شوكه.. وإن لم أنل نورًا كَفَت عندي النار

وإن لم أكن شيخًا ببُردٍ وتكيةٍ.. فحسبي ناقوسٌ وديرٌ وزنّارُ

أصل الكلمة

التكية كلمة تركية تعني «الاتكاء» أو الاستناد إلى حاشية، أو مسند مريح بهدف الاسترخاء، والراحة، وراجت في عصر العثمانيين، بينما كلمة التكية بالفارسية تعنى جلد الماشية، والغنم، ويرى المستشرق الفرنسي كلمان هوار أن أصل التكايا من بلاد الفرس، ويستدل على ذلك بأن المتصوفة

كانوا يحملون الجلد كشعار لهم، والتعريف بهم، ومن الأسماء التي أطلقت عليها ما اتفق عليه أنها التكية: الخانقاه، والزاوية، وخان المولوية، وقد شاع استخدام اسم التكية عند العثمانيين، وكانت تطلق على ثلاثة أشياء: مقام، أو مزار أحد الأولياء، وزاوية أو خانقاه يقيم فيها الدراويش والصوفية، وخان أو نُزُل لراحة الحجاج والمسافرين[٢٣].

ماهي التكية؟

أتت «التكيّة» بمعنى رباط الصوفية، وهي مكان لإيواء الفقراء، وعابري السبيل، وقد ورد في كتاب «تكايا الدراويش» لرايموند ليفيشيز، أن التكايا كانت «القنوات التي من خلالها يشارك المتصوفة في الحياة اليومية»، وكانت تسمى تكايا جمعًا للتكية، أو زوايا، أو خانقات، وذلك بحسب المنطقة الموجودة فيها، وكان لكل تكية طقوسها الخاصة، ومحورها الذي هو شيخ التكية أو شيخ الطريقة.

تاريخ التكية في السودان

وعن تاريخ نشأة التكية في السودان، فالأرجح هو دولة الفونج حيث ارتبطت نشأتها بنشأة المسايد، والخلاوى، وهو كما هو

٢٣_ السيد نجم. التكايا.. فنادق للتعبد والراحة بلا مقابل. مقال منشور على موقع مجلة البيان على الرابط https://www.albayan.ae/paths/life/٢٠١١-٠٨-٢١-١,١٤٩٠٦٣٩

معلوم، فإن أول من أسس الخلاوى، والمسايد، ودور العبادة في البلاد هم الصوفية، ويتضح مما ذكر أنَّ خلاوى القرآن الكريم انتشرت في الجزيرة بعد قيام مملكة الفونج الإسلامية خاصة في عهد الشيخ عجيب المانجلك، الذي حكم كما ذكر المؤرخون من عام ١٥٧٠م وإلى عام ١٦١١م.

وفي كتاب الطبقات لمحمد نور ودضيف الله يورد عن الشيخ إدريس ود الأرباب على لسان الشيخ خوجلي أبوالجاز ما يلي: « قال الشيخ خوجلي: أول مَن أَوقد نار الشيخ عبدالقادِر الجيلي هو الشيخ إدريس، ويُقال أن قُداحْتُه سِتون قدحاً، والكِسرة مَديدة يُسوطَها [يُحرِكُها طبخاً] الفُقرا [طلبة العِلم] ناس الطريقة في البُرام شادين في وسطِهم المناطِق [أحزِمة]، وصِفتُها دُقاقة (دقيقه) نجيضة (ناضِجة)، وخميرة الماء علَيها مِثل الفُلفُل (ولعل الصواب لهُ طعم كالفُلفُل) تارة تكون بِالملاح (الإدام)، وتارة بِالماء . والهدايا تأتيه مِن الزُوّار بأخُذُها العُشام (المحتاجون مِن زُوّار الشيخ الذين يرجون عطاءه دون سؤال)، قال الشيخ صالِح ولد بان نقا حدثنا الفقيه صِغَيرون الشَّقْلاوي حُوار الشيخ إدريس [تلميذ الشيخ إدريس] قال الشيخ مُحمد ود فايِد حُوار الشيخ [إدريس] يَقَدُم في كُل عام لِزيارة الشيخ مِن البحر المِر(البحر المالِح، إشارة إلى البحر الأحمر أي منطِقة شرق السودان أو بِلاد البِجه)، وتحضُر معهُ قبايِل [قبائِل] الشرق عرب أُكُدْ، وعرب التاكه، وغَيرِهِم يجوا (يأتون) دافرين (مُندفِعين، مُتزاحِمين على صهوات الإبِل، والجِياد ...)، مِثل قبايِل جُهَينة مِنهُم شايِل (حامِل) العسل، ومِنهُم من شايِل القِماش كُل أحد (واحِد) على قُدرتِهِ يقعوا (ينزِلوا) على ولد النفيداوي، ثُم يجوا

على المحل الذي فيهِ حِلة [قرية [ولد أبو دِليق»[٢٤].

ومن أعظم الشخصيات الصوفية في السودان، والتي عرفت بالكرم، والجاه الكبير الشيخ حسن ودحسونه، ووأضح أن التكية حاضرة في حياته، بل هي مكان إعداد، وتجهيز الطعام، والشراب، والمأوي، والشيخان كلاهما، وكما هو معروف، فإن فترة حياتهما الصوفية، كانت إبان عهد الفونج، القرن السادس عشر الميلادي الموافق الحادي عشر الهجري.

ولعل ذكرنا للشيخين الشيخ إدريس ود الأرباب، والشيخ حسن ود حسونة، وعلاقة نشأة، وتاريخ التكية بأخذهما كمثلين، علماً بأن هناك العديد من مشاهير المشايخ من رجالات التصوف في عهدها أيضا، كانت التكية مؤسسة ذات حضور قوي في حياتهم، وتسير دولاب دولتهم الصوفية.



٢٤-عزام حسن فرح. الشيوخ المحس في كتاب ود ضيف الله. على الرابط https://vb.alrakoba.net/threads/٪D٩٪٨٢٪D٩٪D٩٪٨E٪٨٠٪D٨٪B١٪D٨٪A٣٪D٨٪AA.١٨٥٢٢/





الْخِطَاب الصُّوفِيُّ

لمصطلح الْخِطَاب الصُّوفِيُّ العديد من التعريفات، فقد ورد في احدى تعريفاته، الآتي:»تعني كلمة الْخِطَاب في الاستعمال الشائع كل ما يُكتب، أو يُنطق موجها إلى الغير لأجل إيصال فكرة ما، وهي عائدة للجذر)خطب (الحامل لمعان أهمها: الكلام الموجه، فالمراد هنا بالْخِطَاب الصُّوفِيّ، ما أنتجه الصُوفيَّة النظريون من آراء.[٢٥]

وما نعنيه بالْخِطَاب الصُّوفِيُّ هو ما يسميه بعض الباحثين بالنص الصُّوفِيُّ، وغيرهم باللغة الصُوفيَّة، فالمراد هنا بالْخِطَاب الصُّوفِيُّ ما أنتجه الصُوفيَّة النظريون من القوالب اللغوية، ومحمولاتها المعنوية، أعني الآراء والطروحات الفِكْرِية.[٢٦]

الْخِطَاب الصُّوفِيُّ في السُودَان، ومن خلال تأسيسه من لدن دولة الفونج (١٥٠٤-١٨٢١) إلى وقتنا الحاضر، عرف عنه بأنه خطاب متسامح، معتدل، متجدد، وفوق ذلك متصالح مع المجتمع، ومع منابع الخير الموجودة داخل

٢٥- رشا روابح. الْخِطَاب الصوفي ودوره في مكافحة التطرف وصناعة السلام العالمي. مجلة الإحياء ٢٠١٨ ،ص ٣ .

٢٦-خالد إبراهيم المجذوبي. الْخِطَاب الصوفي بين الفتنة والاغتراب. https://www.diwanalarab.com/٪D٨٪A٧

٪D٨٪A٧٪D٨٪B٧٪AE٪D٨٪D٨٪٨٤٪D٩٪

الإنسان، فهو خطاب يحتضن الجميع، ويجانب أنه لم يضع الدِّين الإسلامي كجبهة معادية أمام جبهات أخرى، وإنما جعله قاعدة مشتركة للجميع.

والطُرُق الصُوفيَّة ومن خلال خطابها الموجه المسموع، المشاهد والمقروء عملت على كسر الحواجز القبلية، وتليينها، كان لهم دور في الحوار، والتعايش السلمي لاتسام الخِطَاب الصُّوفِيُّ بالمرونة، والتَّسَامُحْ، ومقدرة على الحوار، فكان أهل التَّصَوُّف يشدون الرحال إلى بعضهم البعض بين البلدان، فكانوا سفراء، وقنصليات إسلامية لدى جميع الشعوب، ويتحسسون مشاكل البلاد، وهم ملاذ المهاجرين طلاب الرزق، والعلم، والأمن، والشفاء[٢٧].

والمتصوّفة يبذلون الطعام، ويفشون السلام، ويأمرون بالمعروف، لا يطردون جانحاً، ولا يقنطون من رحمة الله أن تشمل الخاطئين، وهم أصحاب السيرة الحسنة، والسريرة البيضاء، والضمائر الحيّة، الذين يعفّرون جباههم بتراب مخافة الله في خلقه، وحتى في ما حولهم من أحياء، وجماد، وشجر، ومَدَرْ..[٢٨]

٢٧_عثمان عبدالله أحمد يوسف. الطُرُق الصوفية وعلاقتها بالحكومات في السُودَانِ (١٥١٠-١٨٩٨). بحث مقدم لنيل درجة الماجستير (تاريخ) لكلية الآداب جامعة النيلين، ٢٠٠٢م، ص١٣.

٢٨-مرتضى الغالي. بعد الليل ما جنْ: ناس المؤتمر الوطني في الكريدة..! مقال منشور بتاريخ ١٩/ مارس/٢٠١٩م. على الرابط https://sudanile.com/%D8%A8%D8%B9%D8%AF-

فجمال الْخِطَاب الصوفي نجده أيضا عند حكيم من حُكْماء متصوفة السودان، الشَّيْخِ فرح ودتكتوك (١٦٣٥-١٧٣٢م)، وهو يدعو ويشجع الجنوح إلى السلم، والصلح في حالة نشوب الخلاف بين بني البشر، مؤكداً أن من يرفض الإذعان إلى السلم، سيغلب في خاتمة المطاف، نقتبس مما قال في ذلك: «والبختا الاجاويد بنغلب»، وجمال الْخِطَاب الصُّوفِيُّ السُودَاني نجده أكثر تعبيراً في المقولة الخالدة لحكيم الصُوفيَّة الشَّيْخِ العبيد ود بدر (١٨١١- ١٨٨٤م) القائل:

«ادي اللقيمة
وعدي الكليمة
وفك الصريمة
واخر الليل أخد لك قويمة
بتبقي من أهل النهيمة»

كما تزخر أدبيات مُتصوِّفة السُودَان، وخاصة المدائح، وهي النمط الأكثر شيوعا، وانتشارا في المجتمع السُودَاني بالكم الهائل من تلك الأهازيج بلغة يغلب على خطابها التَّسَامُحْ، وحب الخير للآخر حتى العدو، والعاصي، والمجرم في قافلة تسامحهم له مكانته وحضوره، فعن شمول قبولهم للجميع، وأن أحدهم لا يعرف الصد، والإقصاء لأفراد المجتمع، ينشد حاج الماحي قائلا:

يقول الماحي ليك غناي
وقيعاً بي نساي وجناي
تلم أخواني للسقاي
عصاتنا البشربوا الدكاي
مع الصديق سديد الرأي
وكذلك قوله:
المسْلِمين عموم
البشرب المتموم
عالي القصور للنوم
حورا لباسن فوم

فهؤلاء القَوْم لم يستثنوا عصاة قومهم بل شملوهم بدعائهم ويسالون الله أن تشملهم جميعا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.[٢٩]

وعند المصلح الاِجْتِمَاعِيّ والعارف بالله الشَّيْخِ البرعي الكردفاني (١٩٢٣-٢٠٠٥م)، الكثير من الروائع، والتي فيها جسد لنا القيم والتعاليم الإسلاميه السمحة، وكيفية التعامل فى حياتنا مع بعضنا البعض، في نظم راقٍ مثل أدب التَّصَوُّف الخالد في البلاد، فجمال الخِطَاب عند الشَّيْخِ البرعي نجده في قصيدته الأكثر شهرة (بوريك طبك)، وهي

٢٩- عمر مُحَمَّد الأمين. عرض لرواية Yearning of the Bird باللغة الإنجليزية، www. Sudares.com استشارة ٧- أغسطس - ٢٠١٩م.

روشتة تعطي الدواء للداء، ومن أبياتها نقتبس:

بوريك طبك أحسن فيمَنْ عاداك...ومَنْ يحبك أذكر إلهك يوت
ويقول:

بل أنسى إحسانك فيمَنْ يحبك..وتنـاسى يوت لإساءة مَنْ يحبك
ويقول:

لا تفـشـى ســـرك لكافة...المخلوق لو يبقى سِرك
إلى أن يقول:
خالف هوى نفسك حَسَدك وضُرك..وأحذر عقوق والديك في الحين يضُرك
الــزم محـــلك وتحلى...بالآداب حرمك وحِلك
واصبر لأمر الله حين يمتحن لك... من ربِقة الأسواء والشر يحِلك
جــــود إن دعنَـك ....بمالك الأيـام أو وَدَعَنَك
إن رُمتَ من خَلاقَك يرضى عنك..لأحِبَتك وأعــدَاك كن بيضا سنك[30]

وجمال الخِْطَاب الصوفي المتسامح نجده يتجلي بصورة فريدة في رائعته «جدد وضوك»، حين يقول في بعض أبياتها:

عاشر بي حسن أخلاق للأصحبوكا أكرم جميع الناس حتى الأبوكا

٣٠-عبدالجليل عبد الله صالح. السمانية، مصدر سابق، ص-٣٢٨.

رؤية المتصوفة لحرب ١٥ أبريل

في هذا الجزء من هذه الدراسة نستعرض مع الاختصار آراء بعض المشاركين في الإجابة على السؤال المطروح، وهو يستفسر عن موقف أهل التصوف من الحرب الجارية الأن في البلاد، علما بأن عموميات المنهج الصوفي دائما، وأبدا تؤكد على مبدأ اللاعنف في حلحلة القضايا المختلف عليها بين الأطراف المتنازعة، ما إذا كانوا أفرادا، أو جماعات، فالمنهج الصوفي يقدس النفس البشرية، ويدعو إلى الحفاظ على كرامتها، وصونها، بل هو حريص على تحريرها من براثن الماديات، فتحقق لها حريتها، ومن ثم تكون مؤهلة لتلعب دورها كخليفة في الأرض، عملا على عمارها، وصولا إلى تحقيق السلام بين مكوناتها.

وعن موقف الصوفية من الحرب يقول الأستاذ عمر محمد الأمين: «اختارت مراكز التصوف بشكل عام –خلا مواقف فردية لبعض الشخصيات– خيار وقف الحرب، لأنهم أصحاب منهج، ورؤية في الموقف من الفتن التي تصيب المجتمعات، مسترشدين، ومستصحبين قول الحق سبحانه وتعالى: (ولقد كرمنا بني آدم)، ولهذا لم يكونوا من نافخي كير الحرب، والمسعرين لأوارها تحت مختلف المسميات، بل كانوا ساعين ما أمكنهم لإطفائها، وعند اندلاع الحرب

سارعت بعض الأطراف للتمترس خلف أحد الطرفين المتقاتلين، مدافعة عن مواقفه، ورافعة لشعاراته مع التخوين لأفراد الطرف الآخر، ومع ازدياد وتيرة الصراع، برز ما يمكن تسميته بالتضليل الإعلامي في وسائط التواصل الاجتماعي، فتصاعدت وتيرة بث روح الكراهية، وإذكاء العنصرية، والجهوية، وارتفعت روح العداء، والتكفير، والدعوة للقتل، والاستئصال، في هذا الجو بدا خيار وقف الحرب نشازا، وأهله غرباء ولكنهم أصحاب منهج، ونتاج تربية، وتزكية، فظلوا قابضين على جمر خيارهم، ولم يتزحزحوا أبدا.

نظرتنا لهذه الحرب من حيث أنها في الحقيقة عبارة عن منح إلهية لأهل السودان تأتي على وتيرة المحن، والخطوب، والدمار، والحروب، من باب قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ البقرة/ ٢١٦ .}

وعاقبة ذلك خير عظيم، هائل، متدفق على أهل السودان ليصبح في صدارة الدول المتقدمة في كل منحى من مناحي الحياة، وللقضاء على كل تمرد حاصل، وإطفاء نار الفتنة المتأججة فيما يعرف بالحركات المسلحة، وهذه الحرب في خلاصتها تعتبر ضربا للظالمين بالظالمين إلى أن يأتي القوي،

الأمـين فينـال التمكـين[31].

تقـول الأسـتاذة حنـان المصبـاح أن حـرب ١٥/ ابريـل/ ٢٠٣م جـاءت تجـر أذيالهـا فى العشـر الأواخـر مـن رمضـان في أيام صيـام، وقيـام، وذكـر، وتهجـد، وتحـري لليلـة القـدر، وإعمـار للمسـاجد بالعبـادة، وتـلاوة القـرآن، وأتـت الحـرب تحمـل أوزارهـا بـكل ثقلهـا مـن انعـدام للأمـن، والطمأنينـة، دمـار، وخـراب دوي الرصـاص، والتفجـيرات، والقتـل، وسـفك الدمـاء، فانتشـر أهـل الخرطـوم في أرض الله الواسـعة حفاظـاً علـى أعراضهـم، فهاجـروا أفـراداً، وجماعـات يحملـون أرواحهـم بـين أيديهـم تركـوا ديارهـم، وبيوتهـم، ومسـاكنهم، وممتلكاتهـم، فأصبحـت الهجـرة عكسـية مـن الخرطـوم إلى ولايـات السـودان، وبعضهـم إلى خـارج السـودان، والـكل يبحـث عـن مـكان آمـن يلـوذ إليـه، ذهبـوا إلى أهلهـم، وأقاربهـم، ومعارفهـم، وجيرانهـم، وأحبابهـم فى تكافـل، وترابـط، وإخـاء ليشـهد بـه العـالم أجمـع متمسـكين بإيمانهـم بـالله محتسـبين، متوكلـين، راضـين بأمـر الله بأنـه خـير إن شـاء الله، قـال تعـالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ البقرة/ ٢١٦ .}[32]

٣١- مقابلة مع دكتور منصور صديق الخليل. إمام وخطيب مسجد الشيخ المختار بامتداد شمبات، بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٣م.

٣٢-مقابلة مع الأستاذة حنان المصباح. عبر الواتساب – أم عيدان- بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٢م.

عند الدكتور محمد الفاتح حياتي تعد حرب ١٥ أبريل من أكثر الأحداث التي هزت المجتمع السوداني عامة، والعاصمي خاصة خلال المائة عام الأخيرة،[٣٣] ويقول الدكتور أبوالقاسم صباح السعيد الحرب مضرة لا شك، وربما تمتد آثارها لزمن طويل، ويحتاج التخلص منها لمجهود جبار، للأسف كشفت الحرب هشاشة النظام السياسي في السودان، بمعنى أنه لدينا حكومة بالاسم فقط، لا يعرف أعضاؤها على أعلى المستويات أبجديات إدارة الكوارث، وبغض النظر عن سبب قيام الحرب، ومن كان وراءها، إلا أنني أرى أن الجيش السوداني لم يقصر في آداء واجبه رغم الإهمال المتعمد الذي طاله في عهد الإنقاذ، ولقن الجنجويد دروسا لم يتوقعوها، ونظرا لتكوين جيش المتمردين من جنسيات متعددة، وللدعم الخارجي الذي يجده من بعض الدول، أصبح الوقوف مع الجيش النظامي واجبا لا بد منه، لأن الأمر تعدى كون أن الفلول وراء الحرب، وأدين وبشدة موقف البرهان، وقيادته لموقفهم من الجنجويد منذ تأسيس الدعم السريع، فقد مكنوا له، وأعطوه أولوية فوق الجيش النظامي للبلاد. هذه الحرب فرضت على الجيش السوداني رغما عنه، لكنها أصبحت واقعا للدفاع عن السودان، ووحدته، وتاريخه، وثقافته[٣٤].

يتدر المهندس محجوب إجابته عن السؤال حول رؤية

٣٣- مقابلة مع الدكتور محمد الفاتح حياتي. مناقزا، ولاية الجزيرة- عبر الواتساب بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٢م.

٣٤- مقابلة مع الدكتور أبوالقاسم صباح السعيد. الرياض بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٢٨م

أهل التصوف للحرب الجارية في البلاد بقوله: فيهو جانب (ما هو المنهج الصحيح لأهل التصوف في هذة الحرب، وما قبلها حتى درءا للمفاسد)، ولو كان التصوف (الأغلب) يؤدي دوره المجتمعي، والسياسي كما كان لما حدث ما حدث، نحن كنا بالعربي كدة (بنأذن في مالطة)، والجانب التاني هو واقع الحال: فيهو ثلاث أقسام: قسم كما هو معروف متأثر بالحركة الإسلامية الماسونية كمنهج، ونسي دوره، وهم غالبية السجادات (الكبيرة)، وعليه كان دورهم هو المساعدة بإشعال نار الحرب، هذا إن صمتو صمت القبور في هذة الفترة المفصلية من حياة السودان[٣٥].

وقسم يخاف (التدبير، والبوح، والتنوير، والوقوف مع الشعب المسكين)، ويعتبر نفسه هو نفسه مسكين ينتظر (الآخر) مهما كان، ليتحرك وينقذ الموقف.

وقسم كأمثال سيدي الشيخ عبدالله أزرق طيبة، ومن قبله البطل الشيخ الشريف حسين الهندي، من من تحركوا بكل أمانتهم المجتمعية، والدينية، وهي عندنا تشمل كل محاور الديانة، ومن ضمنها السياسة، والإقتصاد، فعملوا بفقه التحولات، وهذا العلم هو على قمة أهل السياسة، والإنسانية، والفلاسفة، لأن منبعه مؤسس المدنية سيدي رسول الله ﷺ، فهؤلاء حذروا بل صرحوا بما سيحدث،

٣٥- مقابلة مع باشمهندس محجوب صلاح الدين. عبر الواتساب بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٣٠م

وقاوموا هذا الدرك السحيق من علامات زوال السودان، بزوال ميزته التي جمعت شتى قبائله، والآن العنصرية البغيضة، والجهل سيد الموقف، إن كان أهليا، أو مؤسسيا، ودرج من بعدهم قليل (اللهم أجعلنا من القليل)، كأمثال سيدي الشيخ أزهري النجار على القيام بهذا الدور بالنيابة عن (النيام، أو المنومين قسريا)، ولكن القمع الفكري، والسياسي، وحتى الجسدي واجههم بكل صلف (وهذا ديدن الحركة المسيلمية)..

وفي الشق الأخير لعب دور (عدم النضوج العقائدي والنفسي)، وهذا شيء يحير فعلا، لعب دور الممانعة لأي عملية إصلاح، أو إسقاط برنامج إنقاذي للموقف، وكان هذا للأسف الشديد من بعض المشايخ الذين لم يكملوا تأهلهم للمشيخة، فولوا المشيخة، فكانت صفات التحاسد سيدة الموقف، حتى لمقدميهم، وحواريهم، فانتشر المرض، وضربنا في مقتل أي في (محور الإحسان والأخلاق)[٣٦]

وخلاصة القول هو قول سيد العرب والعجم سيدنا رسول الله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله. وهم كذلك»)، وتفسيرنا أوسع من ضيق جهل الدواعش الدمويين، فجهاد المقاومة، وجهاد

٣٦- المصدر نفسه.

القيادة رائدان لأهل الله أهل الفطانة، والدين عندنا بمحاوره، وقواعده، ومصادره، والصلاة عليه، ومن ضمنها السياسة وشعارات الثورة (حرية سلام عدالة)، ولكن إن أراد الله عز وجل لهذا السودان أن يزول، ويبنى على قواعد جديدة، وربما على أمة جديدة، فهذا أمر الله، ومشيئته، وما علينا سوى أن نرحل للرفيق الأعلى، ونحن في صف أهل الفطانة، والحق[٣٧].

يقول الدكتور بساطي أحمد عباس عن رؤية أهل التصوف من الحرب: «أما رؤيتهم في الحرب الحالية فهم يرون أنها حرب عبثية، نتجت من ترسبات الكل يعرفها؛ ويوقنون أن الأقدار صاغت المسببات؛ كما يوقنون بأنها حرب ضد الهوية السودانية، لابد من إيقافها بأي طريقة من الطرق حفاظاً على الأرواح، والأعراض، والممتلكات، والبنى التحتية للدولة [٣٨].

يقول البروفيسور المعتصم أحمد الحاج المدير السابق لمركز الدراسات السودانية أن هذه الحرب هي إبتلاء من الله، وأمر واجب الحدوث لتنبيه الناس بضرورة إصلاح مسارهم في جميع أمور الحياة، ويرون أن تلك الحرب ستكون فاصلة بين زمنين، ولها ما بعدها، ليس لهم غير الدعاء لتهدئة النفوس،

٣٧-المصدر نفسه.

٣٨- مقابلة مع دكتور بساطي أحمد عباس. عبر الواتساب- بكين – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٨م.

ليكون لهم دور بعد أن تسكت أصوات المدافع، إنهم يدعون إلى السلام، ووقف الاحتراب، لأن الخاسر فيه هو الوطن، والمواطن[٣٩] .

في استطلاع قام بها الصحفي صلاح شرارة لقناة DW عن الحرب في السودان، و اللجوء للمكون الصوفي، جاءت إفادات بعض من قام بمحاورته على النحو التالي: هذه الحرب ليست على حق، لأن الكل يحارب من أجل الحكم، أو السلطة، ولذلك فهي حرب عبثية كما أسمتها الأطراف المتحاربة نفسها»، حسبما يقول الشيخ يوسف عز الدين البشير، أحد أبناء الطريقة القادرية.[٤٠]

أما الطريقة التيجانية فترى على لسان أحد أبنائها، الشيخ على عبد المكرم، أن «ما حدث ليس من صالح الأمة السودانية، فهي حرب بين جيش الوطن، والدعم السريع، الذي هو ابن من أبناء القوات المسلحة تمرد عليه، ولهذا فكأن الابن رفع العصا على والده، ولابد من الإصلاح بينهما، وإيقاف إراقة الدماء"،بحسب تعبير الشيخ عبدالمكرم[٤١] .

٣٩- مقال من طرف البروفيسور المعتصم أحمد الحاج. بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١١

٤٠-المصدر نفسه.

٤١-صلاح شرارة. الحرب في السودان ــ لماذا لا يتم اللجوء للمكون الصوفي؟

٨A-٪D٩٪٨١٪D٩٪-A٨٪D٨٪B١٪AD٪D٨٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪https://www.dw.com/ar/٪D٨

٨٦٪D٩٪A٧٪AF٪D٨٪D٨٪٨٨٪D٩٪B٣٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪٪D٨

ويقول الصحفي السوداني المقيم في باريس محمد الأسباط، رئيس تحرير موقع مشاوير، إن هناك شبه إجماع بين هؤلاء، من مشايخ، ومريدي الطرق الصوفية، بأنه ”لا سبيل إلا بإيقاف هذه الحرب،[٤٢] وعن دور الطرق الصوفية في إيقاف الحرب يقول الأستاذ محمد الأسباط في حواره مع DW أن الطرق الصوفية كان لها دور في إيقاف الحرب في مناطق عديدة في السودان على سبيل المثال في الفاشر، وبجهد مشترك مع الإدارة الأهلية، وهي أيضا قوة مؤثرة على الأرض، «استطاعوا أيضا أن يوقفوا القتال في مناطق مدنية، سواء كان ذلك في الضعين بشرق دارفور، أو الفولة بغرب كردفان، أو الدبيبات بجنوب كردفان، ولحد كبير في الأبيض بشمال كردفان، وهذا يؤكد أن للطرق الصوفية دورا أساسيا، وفاعلا بسبب وجود أتباعها اليومي وسط الناس، وتواصلهم معهم، في المساجد، ودور الطرق الصوفية على مدار اليوم، وهم حاضرون في الأفراح، والأتراح، وأثرهم على الأرض أكثر فعالية، وبالتالي «يمكنهم أن يسهموا بشكل فعال في إيقاف الحرب، إذا تم البناء على ما قاموا به خلال أشهر الحرب السبع الماضية“.

لكن حتى لا يحدث ذلك، تحدث أتباع الطرق الصوفية لبرنامج «السودان الآن“ عن جهودهم من أجل حل الأزمة، فقال الشيخ علي عبد المكرم من الطريقة التيجانية إن أهل

٤٢- المصدر نفسه

الطرق الصوفية من القادرية، والسمانية، والتجانية، وغيرها، كلها تدخلت لدى مسؤولي القوات المسلحة ومسؤولي الدعم السريع، «داعين إلى وقف هذه الحرب، والإصلاح بينهم لكن هناك اختلافات بسيطة في وجهات النظر»، ويعرب عبد المكرم عن تفاؤله من «حدوث صلح بين أهل السودان قريبا“، ومؤكدا أن هناك «أطرافا وطنية «، رحبت بمفهوم الطرق الصوفية لتقريب وجهات النظر بين الجيش، والدعم السريع[٤٣].

أما الشيخ عادل يونس فيؤكد على أن الطرق الصوفية «كان لها جهد واضح في إيقاف الحرب أولا عبر الدعاء إلى الله، وكذلك عبر المنابر في الجمع، واللقاءات الدينية»، ويضيف «أنا نفسي كإمام مسجد تحدثت في خطب عديدة عن رغبة الشعب السوداني في إيقاف الحرب، التي دمرت الأخضر واليابس“.

وأوضح يونس أنه تحدث مع القادة من الجيش، والدعم السريع «الموجودين حولنا في منطقتنا، وكلهم أبدوا مرونة، ورغبة في إيقاف الحرب، إلا أن الأمر لم يكن بأيديهم باعتبار أنهم قادة مسؤولين عن إدارة مناطق صغيرة“.

ويتمنى الصيدلي طه الطاهر أحمد بدوي أن «تكون هناك

٤٣- المصدر نفسه.

في المستقبل رؤية حديثة لموضوع الطرق الصوفية، والإدارة الأهلية كي تغير من مفاهيم اتجاه دولة البناء الحديث، الذي يتم عبر ركيزة التعليم، وطرح رؤى مستقبلية لسودان الغد[٤٤]".

وذهب البعض في حوار للقناة ليؤكد أن التصوف دائماً مع وحدة أهل السودان، واستقرار البلاد، وسلامتها، لأنّ أهل التصوف هم أهل السلام". إنّ أهل التصوف الآن يدعون إلى السلام، الذي يتحقق بشروط لا تسمح بتفكك الدولة، وتقسيمها وتمزيق المجتمع "[٤٥].

وعن الصوفية ودورها في الصراع الحالي، وفي المقال المنشور على موقع النيليين، يقول الأستاذ عثمان الكباشي: «تجد أن صوت المتصوفين صحيح، رغم أنه قد لا يكون هو الأعلى وسط ضجيج السياسة، وصخبها، وأصوات الرصاص، ولكنهم يلعبون دوراً كبيراً جداً الآن في مجتمعاتهم المحلية في إيواء النازحين، وتحقيق تماسك المجتمع".[٤٦]

يتدر الدكتور علي وداعة عن نشوب الحرب الحالية بقوله: «المتابع للحالة السودانية الآن يلاحظ أن الكيانات السياسية

٤٤- المصدر نفسه

٤٥- عن الصوفية في السودان ودورها في الصراع الحالي. على الرابط .https://www.alnilin.com/١٣٣٢٤٧٧٠.htm

٤٦- المصدر نفسه.

مجتمعة ساهمت بشكل كبير، فيما هو سائد الآن من الجهوية، والعنصرية، وخطاب الكراهية، وغيرها من الآفات التي ضربت عمق المجتمع السوداني، وهدمت الكثير من قيم التسامح، وقبول الآخر التي كان يتميز بها المجتمع، هذه الآفات إذا لم تواجه سريعا، وبآليات فعالة سينتهي هذا البلد إلي دويلات متناحرة، متحاربة، يسودها الفشل، والفوضى التي تعيق نموها وتطورها[٤٧].

ولمعرفة الآليات التي ستعمل على إذابة جبل الجليد من هذه المشاكل التي نعيشها الآن نتاج الاستقطاب السياسي، والجهوي غير المسؤول، لابد لنا من أن نرجع الأمر إلي أهله من أؤلئك النفر من العلماء الربانيين الذين يرجع إليهم الفضل في تشكيل الشخصية التي عرف بها السودان بين الأمم، والشعوب، حيث تركت الانطباع الجيد، فاتفقت الشعوب على محبتها وقبولها[٤٨].

أما الدكتور أحمد الأبوابي وعن رؤية المتصوفة للحرب في إجمالها، وحسب قراءته للمنهج الصوفي يقول: «لعل رؤية أهل التصوف لهذه الحرب تنبثق من رؤيتهم الكلية للعالم، والحياة، وموضع الشر فيها، فما في الكون من حادث إلا وهو تحت إرادة الله، ومشيئته الكونية، وبالتالي فهم يسلمون

٤٧- مقابلة مع الدكتور على وداعة. عبر الواتساب – الدويم – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٤م.

٤٨- المصدر نفسه.

لله، بما حدث، ويرضون بالله رباً، وبقضائه، ولكنهم في ذلك الوقت يعرفون أن من إرادة الله ما يفارق رضاه، لذا فالموقف الشرعي هو رفض هذه الحرب، والسعي لتجنيب الناس مآسيها، ومخاطرها، وما يلي ذلك من تطويل أمدها، ومما يتصل بذلك يأتي السعي للصلح، وتأكيد لغة الحوار على حساب لغة الحرب، وترسيخ السلام[٤٩].

وعن الرؤية الصوفية للحرب، يقول الشاعر شيخ سيف الدين سليمان ما يلي: «تعلمنا وعرفنا من الله بهم، وبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرؤية حقيقية، ومجازية، فالمجازية هي: رؤية عامة الناس، وهي محدودة وفق ما قدره الله لهم من العلم، والمعرفة، فإذن لهم رؤية ظواهر الأمور وحجب عنهم بواطنها، فالإنسان حركته، وسكونه، وقوله، وفعله، نفعه، وضره عند أهل الرؤية المجازية أنها مع الإنسان، بينما هي خلقه، وفعله لا غيره، له الخلق، والفعل، والأمر، والقول ...الخ، ومما يؤكد ذلك أنه كلما تطور العلم زاد تمسك أهل الرؤية المجازية تمسكا بها، وهم عن الحقيقة غافلون، بل عن الشكر أغفل، وهم الكثير فيما يعني، ضمن قوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور)، وهؤلاء أهل رؤية الحقيقة، أهل الحقيقة قلة قليلة، ونظرتهم ورؤيتهم للحرب رؤية العالم العارف بربه أنه الفعَّال لما يريد، لا فاعل في الوجود إلا هو، فهم يدركون أن ما أصاب الناس من خير من الله أيضا،

٤٩-مقابلة مع دكتور أحمد الأبوابي. عبر الواتساب- الباحة – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٣

لكن تأدبا مع الحق من الناس أنفسهم، وأعظم مافي أمر الحرب تكريم الله لسيدنا رسول اللهﷺ في أمته، وماحصل هو عين ذلك، إذ أن ما كان يحصل في الخرطوم ليلا، ونهارا منذ اندلاع الثورة إلى قبيل الحرب مما هو سبب للحرب، من أفعال حسية، ومعنوية، ونوايا لم تحقق بذلك، لولا رحمة الباري بهذه الأمة، لكان الناس في العدم كما جرى لسابق الأمم، وآيات تتلى هكذا رؤية التصوف[٥٠].

أما عن صمتهم، فيحدثك صبرهم على الأذاية، والبليات، وصبرهم عن المعاصي سيما المهلكات، وترحابهم بجيوش الأقدار، وما تجيء به في دواوين الرضا، جالسين على كراسي التسليم، لابسين جلابيب وحدة الصفات والأفعال، متوجين بعمائم التقوى، متوشحين بأوشحة اتباع كتابه تعالى، وسنة نبيه ﷺ، وليس بغير ذلك لهم من الحق استحقاق التكريم في الدنيا،، والأخرة، ففي الدنيا صرفت، وتصرف لهم نظارة الحقيقة، وسماعتها، وكشافتها، وأجهزة فحصها، وبوصلتها، وزادهم التكريم صاعا بأن لديه المزيد، حيث قال: (لهم مايشاون عند ربهم)، وماخفي أعظم، وفي الأخرة مقعد صدق عند مليك مقتدر، فكيف لمن هذا حاله مع الله أن يعترض عليه، ويكابر، فهم أولو الأبصار المعتبرين، إذا نظروا، وشاهدوا الحق، والحقيقة في كل ما هو منه، وبه،

٥٠- مسودة ورقية من طرف شيخ الشاعر سيف الدين سليمان، المكيلاب بربر عن رؤية الصوفية للحرب بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٨م.

وله، وفيه، وتحققوا بلا إله إلا الله، الذي لا يسأل عن ما فعل، وهم يسألون، فرؤيتهم للحرب هي فعل الفعّال لما يريد عدلا، وفضلا، وحكمة، وكل ذلك مسبوق برحمته تعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[٥١].

٥١- المصدر نفسه.

المسيد الصوفي والأزمة الإنسانية مابعد ١٥ أبريل

(الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)

في كتاب الحكم أورد القطب سيدي الشيخ أحمد الطيب البشير الحديث التالي: «اَلسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اَللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ اَلنَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ اَلْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ اَلنَّارِ، وَاَلْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اَللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ اَلنَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ اَلْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ اَلنَّارِ، وَجَأهل سَّخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اَللَّهِ مِنَ عالم بخيل، كما أورد أثرا نبويا آخر والذي يقول: :أدوأ الأدواء البخل».

السخاء صفة جُبل عليها السودانيون، وقد حكى الكثير من الفارين من جحيم الحرب في عاصمة البلاد الغريب، والمدهش من قصص سخاء، وكرم الانسان السوداني الأصيل المتجه شمالا، وجنوبا، شرقا، وغربا، ولعل مرد ذلك عندي هو تغلغل، وأثر الإسلام الشعبي (التصوف) بشقيه الديني، والاجتماعي في المجتمع، ويبدو أن المؤسسات الاجتماعية المتمثلة في وجود (الديوان/ الخلوة) خصوصا في المجتمعات الريفية، وكذلك تكايا، ومسايد أهل الطريق الأثر البالغ في امتصاص الصدمات الاجتماعية العنيفة التي ظلت تعاني منها كثير من المجتمعات من حولنا، وأعني بها الدول العربية

التي شهدت الحروب منذ ٢٠١١م، فوجود هذه المؤسسات الاجتماعية كان كفيلا حفظ كرامة الإنسان السوداني من جهة ومن جهة أخرى أكد حقيقة أن السلطة الحقيقية هي سلطة المجتمع المتمثلة في وجود القيادات الدينية، والروحية فهم السلاطين، والأمراء كما قال شاعرهم[٥٢].

كان لرجال التصوف موقف واضح، ومصرح به لأجهزة الإعلام تجاه ثورة الشعب ضد نظام الإنقاذ، ومن هؤلاء المشايخ كان الشيخ محمد الشيخ حاج حمد متفاعلا مع الثورة منذ انطلاقتها في ديسمبر٢٠١٨، ولصيقا بكل أحداثها، وداعيا لوحدة قوي الثورة، وقدم الدعوة لقوى الثورة للاجتماع في كدباس، واستجاب قطاع واسع لتلك الدعوة ليتفقوا على الحد الأدني لتتوحد رؤيتهم، ويكونوا صمام أمان للسودان، وظل معلقا علي كل حدث، كما كانت زاوية ود نوباوي ملتقى كبيرا للجان المقاومة، لضمان استقلاليتها، وكانت الاجتماعات تتم أكثر من مرة في الأسبوع، وعندما زار البرهان كدباس بمناسبة الرجبية، نصحه الشيخ بضرورة مشاركة الشباب في السلطة، وبدونهم لن تستقر الأحوال، وأدان الشيخ انقلاب البرهان، وعودة رموز النظام السابق، ثم ذكر أن اتصاله مع الطرفين انقطع عندما توترت الأمور بين البرهان، وحميدتي بسبب عدم استجابتهم لاتصالاته .

٥٢ـ عبدالجليل عبدالله صالح. مقال منشور بتاريخ ٢٠٢٣/٥/٣١م

وعندما اندلعت الحرب كان المسيد يقوم بدوره الإنساني في الإيواء، وتلبية احتياجات النازحين، وعندما عقدت القوى السياسية، وبعض منظمات المجتمع المدني اجتماعا في أديس أبابا أرسل لهم تصريحا صحفيا انتشر علي نطاق واسع، يدعو لوحدة قوي الثورة، والعمل علي إيقاف الحرب، وعودة المسار المدني، والقضايا الإنسانية[٥٣] .



شيخ محمد الشيخ الجعلي– كدباس

ويقول : الصوفية عندنا في السودان هم من اخترعوا منظمة المسيد قبل المنظمات الإنسانية، وقبل حقوق الإنسان. كان المسيد رعاية اجتماعية، كان المسيد بوتقة لانصهار القبائل والإثنيات، والألوان، والأعراق، كان المسيد مؤسسة تعليمية،

٥٣- مسودة ورقية من طرف البروفيسور المعتصم أحمد الحاج، بورتسودان بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١م

كان المسيد مؤسسة طبية، كان المسيد مؤسسة اقتصادية، كان المسيد يمثل دولة مصغرة يقودها الشيخ فقير مفتقر إلى الله، قاعد على الواطة، مفترش الأرض ولابس ليو مرقوعة[٥٤].

تكتب الأستاذ حنان المصباح عن انطباعها، وهي كانت قد خرجت مع أسرتها من حي الشعبية بحري صوب مسيد الشيخ السماني الشيخ البكري بقرية أم عيدان شمال الدندر، لتقول: «لقد أكرمنا الله بأن جعلنا ممن قصد التوجه إلى أم عيدان الشيخ السمانى الشيخ البكري غوث زمانه معروف، ومشهور بالصلاح، والكرم، لقد استقبل مسيد الشيخ السماني الشيخ البكري الوافدين من الحرب استقبال الأنصار للمهاجرين عملاً بقوله تعالى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إليهم وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ﴿٩﴾ سورة الحشر آية رقم ٩

كان استقبالاً حاشداً خارج المسيد بالبِشر، والترحاب، ذبحت الذبائح، وبالإنشاد، و المديح، والذكر استقبال كاستقبال أهل بيت لفرد من أفراد أسرتهم طالت غيبته .تواصلت الأسر إلى أم عيدان تترى أفراداً، وجماعات من

٥٤- دكتور عبدالرحمن حسن أحمد حامد. الصوفية أول من أنشأ منظمة إنسانية في التاريخ.https://www.youtube.com/watch?v=k٥j٩EyyAqQ_

كل محليات ولاية الخرطوم، وفَّر لهم الشيخ السماني الشيخ البكري السكن المريح، وسعى لراحتهم، وإسعادهم خصص لهم وقتا يوميا لمقابلته من الصباح الباكر متفقداً لأحوالهم في تواضع، ونبل، وشهامة، يجلس مع كبيرهم موقرا له، ومع صغيرهم راحماً له، يسعد الكل بطيب مجلسه، وشذاه فهو نعم الجليس الصالح، جابراً بخاطر الكل، غارساً للسكينة، والطمأنينة في القلوب مزيلاً لآثار الخوف، والرعب، فالجميع سعيد بمجلسه، والكل وجد الدعم، والإرشاد النفسي، والروحي، خاصة وأنه مرب للجسد، والروح، هنيئا لكل روح اكرم



الشيخ السماني الشيخ البكري

بما أن للمسيد دور ديني كبير في المجتمع فقد تكشف دوره

٥٥- المصدر نفسه.

ليعمل بكل طاقته فى حركة دائمة، وفى عمل مستمر .المسجد، والخلوة التكية المضيفة، بيوت الشيخ السماني، وأسرته، وبيوت أبنائه، وبناته، والكل كان في خدمة الوافدين بلا كلل، ولا ملل، ولا من، ولا أذى بكل طيب نفس، ورحابة صدر، أمهات المشايخ، زوجات أبوي الشيخ الفضليات، وأبنائه، وبناته وارثي الكرم، وامتداد حقيقي لكل السمات الجميلة، والمتفردة، لم يدخرو وسعاً في الإحتواء، وجبر الخواطر، وتتطيب النفوس وتخفيف حدة المعاناة.

كذلك الأخوات الكريمات بالتكية في عمل دؤوب متواصل ليلهم كنهارهم، حيث تضاعف العدد بصورة كبيرة فما ازددن إلا تفانيا، وإخلاصا لإكرام ضيوف الشيخ، وكل من في المسيد، كل يعمل على شاكلته لهم منا كل إمتنان وتقدير

لم ينحصر دور المسيد في السكن، والإيواء، بل تم كذلك عقد قران إحدى الوافدات، وقام الشيخ السماني الشيخ البكري متكفلاً بكل لوازم الفرح مقدماً الدعوة لأهل أم عيدان، بل للقرى المجاورة، وكان فرحاً عظيماً، ويوماً مشهوداً مما ترك أثراً طيباً في النفوس.

تمت كذلك صيانة مصلى النساء بالمسجد، وتوسعته ليتناسب مع عدد المستفيدات من المصلى، وكذلك كثفت المحاضرات، والندوات لينهل الجميع من ذاك العلم، أيضاً ارتفع معدل العمل بالمركز الصحي بأم عيدان ليقدم خدمة

كان الناس في حوجة إليها فى زمن الخريف، وصعوبة التنقل، والترحال ليعمل المركز الصحي طول اليوم خدمة ٢٤ ساعة مستفيداً من الكادر الطبي، الذي وفد إليهم من الخرطوم، حيث زودهم الشيخ بالمعدات الطبية، وبكل ما يحتاجون إليه من الأدوية، مما جعل المركز قبلة للكثير.

أخيراً مهما كتب الإنسان عن المسيد، ودوره، لم، ولن يعطيه حقه، فالحمد والشكر لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على رسول الله الصادق الأمين، جزاك الله خيرا سيدنا، وأبونا، وشيخنا الشيخ السماني الشيخ البكري[٥٦].



الشيخ السماني الشيخ البكري والأستاذة حنان المصباح محمد أحمد – أم عيدان الشيخ السماني

وعن دور المسيد خلال الأزمة الحالية، يكتب الدكتور محمد الفاتح حياتي ما يلي: «عندما اندلعت حرب ١٥ أبريل، كانت المسايد، والتكايا، والزوايا عامرة تؤدي كل أنشطتها،

٥٦- المصدر نفسه.

مع العلم بأن القوم كانت لهم توجهات مختلفة، فمنهم من يلتزم مسيده، ولا يحتك بالساسة، والسياسة كثيرا، ومنهم من انغمس في السياسة، وهنا أيضا تتباين درجات الانغماس في السياسة عند المتصوفة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعض الصوفية قد أشاروا إلى قيام هذه الحرب في ما يعرف عندهم بالكشف، أو العلم اللدني، ولكن بعد أن أصبحت الحرب أمرا واقعا؛ تباينت المواقف، ويمكن حصرها في الآتي:

١. بعض المشائخ خرجوا من ديارهم، ومسايدهم، وهاجروا إلى الخارج، وابتعدوا تماما عما يحدث في داخل العاصمة، أو خارجها، مع العلم بأن مواقفهم تجاه الحرب متباينة، فهناك من ناصر طرفا ضد الآخر، وهناك من التزم الحياد، وهذا هو السواد الأعظم منهم، كما تجدر الإشارة إلى أن أوضاعهم الاجتماعية التي دعتهم للخروج من العاصمة.

٢. وهذه المجموعة خرجت من العاصمة إلى الولايات الآمنة. وهم كُثر أيضا.

٣. هذه المجموعة الثالثة اختارت البقاء في المسيد، والوقوف مع الفقراء، والمجتمع الموجود داخل، وحول المسيد، وبذلوا الغالي، والنفيس من أجل تخفيف وطأة الحرب عن المواطن، والتزموا الحياد من أجل حماية المسيد، ومجتمعه، وتذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ الياقوت وأبناءه، والشيخ

عبد الرحيم الركيني، وقد عانوا كثيرا من دخول المتمردين إلى المسيد، وسرقة العربات، بشكل عام، وبتاريخ الصوفية الناصع؛ نأمل منهم الكثير في إيقاف هذه الحرب، والمساعدة في حل كل المشاكل التي تواجه المجتمع. وننتظر منهم الكثير طالما أنهم لا يخشون في الحق لومة لائم[٥٧].

يقول الأستاذ عمر محمد الأمين معلقا على سؤال دور المسيد بعد نشوب حرب ١٥ أبريل قائلا: «بوغت السكان بنشوب الاشتباكات في وسط العاصمة،كما فوجئ بتغيب، واختفاء مؤسسات الدولة عن مسرح الأحداث، وترك الجميع، وشأنهم، ووجهوا بهذا الموقف، وأن عليهم تدبير حالهم!! ذلك أن قوات الدعم السريع عملت على إجلاء المواطنين من منازلهم، ومساكنهم، وتركهم في العراء بدون مأوى، أو ملاذ، وأن عليهم تدبير الستر، والحصن، والمأوى، علاوة على تدبير القوت، والطعام، وبدون موارد، أو القليل منها لمن كان محظوظا!! وهكذا وجدوا أنفسهم نازحين!!! ولسلامتهم الشخصية لم يكن أمام الكل من خيار سواء الخروج من العاصمة مسرح العمليات، قصد الجميع الأقاليم القريبة ظنا منهم أن الحال لن يطول، ويمكنهم الرجوع، وكان لابد من توفير المأوى والطعام!![٥٨]

٥٧-مقابلة مع محمد الفاتح حياتي. مناقزا، ولاية الجزيرة- عبر الواتساب بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٢م.

٥٨-مقابلة مع عمر محمد الأمين. عبر الواتساب- وأدي شعير بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٢٩م.

وكان المسيد – كما هو عبر تاريخه – مقصدا، ومحجا حيثما وجد، يستقبلك أهله بالبشر، وبوجه طلق، يقدمون لك ما عندهم دون من، أو أذى، بل يرومون وجه العلي القدير في إكرام الضيف، وجبر الخواطر، والضيافة، والترحاب في المسيد، لا تحتاج إلى أذن، ولا تتطلب تسجيلا في سجلات، ولا تتطلب وقوفا في صفوف، ولكنها خدمة تقدم بطيب خاطر، ومراعاة للمشاعر، والمسيد مفتوح طوال اليوم، والقائمون عليه يعرفون قيمة الخدمة التي يؤدونها، يهبون سراعا، وبهمة عالية لتقديم ما عندهم، وجبر خاطر الضيف، وهنا لابد من الإشادة بتجربة مسيد شيخ الأمين عمر الأمين في ود البنا بأم درمان، والذي وضعته الأحداث في قلب المعمعة، فاستحدثوا لها ما يناسبها مثل خدمة توصيل الطعام، والقوت للعجزة في مواقعهم، وتشغيل عيادة طبية في المسيد توفر الأدوية التي تبرع بها أصحابها، ويشرف عليها طاقم طبي من متطوعي، ومتطوعات المسيد[٥٩].

يقول الدكتور منصور صديق الخليل إمام وخطيب مسجد الشيخ المختار بامتداد شمبات المسايد خارج نطاق الحرب قامت بدور إيواء الناس، وتحمل أعباء معيشتهم، وسكنهم، حيث لاذ المواطنون بأماكن الصالحين من أهل الله، فوجدوا أبوابهم مشرعة، واستقبلوهم بكل حفاوة، وسخاء، ووفروا لهم من سبل العيش الكريم ما عجزت عنه المنظمات الإنسانية،

٥٩- المصدر نفسه.

فكانوا خير ملاذ، ومعين، وأعدوا لهم من بعد الغذاء البدني وجبات دسمة من غذاء العقل، والروح، وذلك بخلق برامج علمية هادفة، وأخرى ترويحية روحية، ليملأوا فراغهم بما ينفع، حيث جلس شيوخ عقد الأشعري، وفقه مالك، وطريقة الجنيد السالك، فسقوا الناس من معينهم الصافي إضافة إلى حلقات الوعظ، والإرشاد، كما أقيمت حلقات لحفظ الأجزاء الأخيرة من القرآن الكريم، وتجويده، وتناول شيء من تفسيره.

وأما الجانب الروحي فكان من خلال حلق الذكر، والاستماع إلى الأناشيد، والمدائح النبوية، وذلك كله لعلم شيوخ الطريق أن النفس أذا أهملت، ولم نشغلها بما ينفع من الحق، جمحت، ونفرت، وشغلت أهلها بالباطل، واللهو، قال الإمام الشافعي: «نفسك إذا لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل، والوقت كالسيف اذا لم تقطعه قطعك»[٦٠].

يقول الدكتور أبوالقاسم صباح السعيد عن دور المسيد في مواجهة هذه الأزمة الإنسانية قائلا: «المسيد يلعب دورا هاما في رتق النسيج الاجتماعي منذ ظهوره في السودان، وعلى مر التاريخ كان المسيد، ومشايخ الطرق الصوفية القائمين عليه رأس الرمح في الحفاظ على تراث السودان، والآن في ظل النزوح، والهجرة التي نجمت عن الحرب في الخرطوم،

٦٠- مقابلة مع منصور صديق الخليل. إمام وخطيب مسجد الشيخ المختار بامتداد شمبات، بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٢٩م.

فتحت المسايد في كل مناطق السودان الآمنة أبوابها لاستقبال الضيوف، وإيوائهم، وتوفير ما يحاجون من مستلزمات، وهذا الدور هو الدور الأزلي التاريخي لمسايد السادة الصوفية، ففيها يجد الناس الراحة، والطمأنينة سيا أنها كلها بلا استثناء في حرم المساجد، فتكون حرمة الضيوف من حرمة المساجد، ولعمري، أن الدعم النفسي الروحي هو ما يحتاج له الناس جميعا، سواء كانوا مهجَّرين قسرا، أو مقيمين، في ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، فأنا أرى أن أهل الخرطوم الذين أخرجوا من ديارهم كرها، وأولئك الذين استقبلوهم في ولاياتهم، على حد السواء تأثروا سلبا بهذه الحرب، واعتاد السودانيون في الملمات اللجوء لمشايخ الطرق الصوفية في مسايدهم طلبا للدعم النفسي الروحي، وأحيانا المادي. وأشهد انهم يجدون ضالتهم، ومبتغاهم، فلا يغادرون إلا وهم راضون. إذا، في ظل هذه الأزمة يبرز دور المسيد التاريخي، ويؤكد وجوده بدون منٍ، ولا أذى، فهو الملجأ للإيواء والدعم بكل أنواعه، ومنارة الهدى، والإرشاد على مر التاريخ، نسأل الله أن يزيد هذه السوح المنورة بركة، وأن يجزي سادتنا المشايخ عنا، وعن السودان كل الخير، هو ولي ذلك، والقادر عليه[٦١].

يقول أحمد عمر أبو إدريس أن المسيد ظل يؤدي دوره المنوط به طيلة فترة الحرب السابقة بعون ذاتي، بلا من،

٦١- مقابلة مع أبوالقاسم صباح السعيد. الرياض بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٢٨م.

ولا أذى، ولا تصوير حتى، شعارهم في ذلك «إنما نطعمكم لوجه الله»،[٦٢] يعلم القاصي، والداني أنه ومع بدء الحرب في منتصف شهر أبريل، بدأ نزوح سكان العاصمة إلى الأطراف القريبة، فتوافد الناس على مسيد الشيخ زرافات، ووحدانا حتى ضاق بهم المكان، وتوسعوا في المركز الصحي، والمدارس في القرية، وزاد هذا النزوح عقب المعارك حول معسكر طيبة، وبلغ ذروته عقب معارك الجبل الأخيرة[٦٣].

خص الصحفي طلال مدثر مسيد شيخ الأمين عمر الأمين المكاشفي بتغطية رائعة، وشاملة في مجلة أتر الأسبوعية في عددها الخامس ٩ نوفمبر ٢٠٢٣م عنون لها بـ (في أم درمان: حينما تغيَّر كل شيء.. صارت كلّ الطرق تؤدي الي مَسِيد الشيخ الأمين) حيث كتب يقول: «في أيام السلم، وقبل أن تخوض الخرطوم حربها المؤجلة ضد قوات الدعم السريع، كانت صورة رجل الدين الخمسيني «الشيخ الأمين عمر الأمين »، مُتذبذبةً في نظر كثير من الناس في السودان، إذ أثار جدلاً كثيراً باختلافه في مظهره، وطقوسه، وطريقته الصوفية المتفردة، والجاذبة للطبقات الميسورة من المجتمع السوداني، خاصة جموع الفتيات اللائي رأين في نهجه ملاذاً لهن من مختلف الإكراهات. ،وبسبب هذا الالتفاف النسائي الكبير حوله، باتت صورته مرتبطة في المخيلة السودانية

٦٢- أحمد عمر ابو إدريس.

٦٣- المصدر نفسه.

خلال السنوات الماضية بالعبارة الشعبية الشهيرة، التي قيلت فيه تندّراً: «محايتُه بيبسي وحيرانُه جكسي[٦٤].

بعد الخامس عشر من أبريل ٢٠٢٣ م، ومع اشتعال الحرب، تبدلت صورة «شيخ الأمين » تماماً في أذهان كثير من الناس، في مختلف أرجاء البلاد، وبدأوا ينظرون إلى الشيخ «المودرن » بإعجاب، وتقدير شديدين، فالرجل الذي يقع «مَسِيده » – مكان تجمع أحبابه ومريديه – في قلب حي «ود البنّا » الأمدرماني العريق، رفض أن يغادر الحي الملتهب بالاشتباكات، وفضّل البقاء، مع تغيير كبير لدَور «المسيد »، من مكان للذكر، والإنشاد، والمديح إلى دار إيواء متكاملة الخدمات، يقدم الطعام ، والشراب، والدواء مجاناً إلى أهل الحي المحاصرين ، أو ممن فضلوا البقاء، ويداوي من مرض منهم، أو سقط جريحاً أثناء الاشتباكات، في ظل شح كبير في الماء، والغذاء بالمنطقة، ومع اشتداد الضائقة على الأحياء الأخرى في أم درمان القديمة، وما يجاورها، لجأ المئات من سكّانها الذين تقطعت بهم سبل العيش إلى المكان ينشدون لقمة تسد الرمق وشربة من ماء.

مَسِيد الشيخ الأمين عمر الأمين ». وما أن تعبرها حتى تجد نفسك في ساحة الذكر التي كانت تقام فيها الطقوس

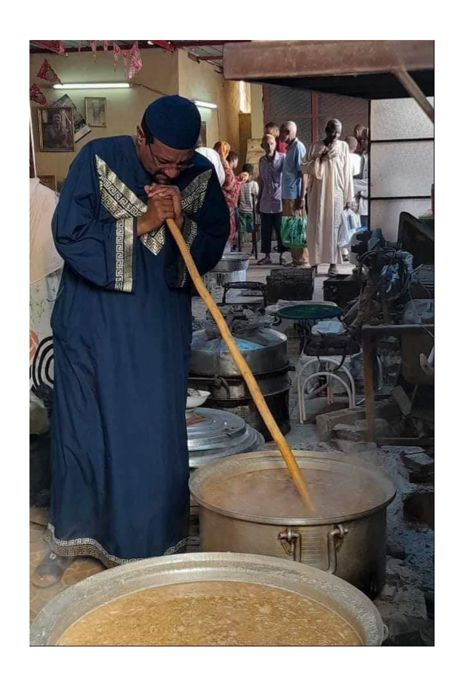
٦٤- طلال مدثر. في أم درمان: حينما تغيَّر كل شيء.. صارت كلّ الطرق تؤدي الي مَسِيد الشيخ الأمين. أتر الأسبوعية، العدد (٥) ، الخميس، ٩ نوفمبر ٢٠٢٣ م، ص ١٢.

، والاحتفالات الدينية، قبل أن تتحول منذ ١٥ أبريل الماضي إلى ساحة لإعداد الطعام، حيث تتوسطها مواقد النار التقليدية التي تشتعل بالحطب لانعدام غاز الطهي، وقد وُضعت عليها عدد من قدور صناعة الطعام الضخمة تحوي الفول ، والعدس لوجبة الإفطار، وطبيخ الباميا، والفاصوليا والأرز لوجبة الغداء، ومن ثم يعود الفول ليتسيَّد مائدة العشاء أيضاً، مع وجود مخبز بلدي لصنع الخبز داخل المسيد يتوفر له مخزون جيد من الدقيق، وتتنأثر مواقد أخرى تتحلق حولها سيدات لصنع «الكِسْرة » وهي خبز سوداني يُصنع من الذرة.[٦٥]

لا يقتصر دَور الدار على توفير الملجأ ، والطعام للفارين من جحيم الحرب في أم درمان، بل يتعدى ذلك إلى تقديم الخدمة الطبية الإسعافية للمصابين بالشظايا ، أو الطلقات، ريثما يتم التمكن من نقلهم إلى مستشفى النو – المستشفى الوحيد الذي لم يخرج من الخدمة، ويقع بحي الثورة بأم درمان – مع توفر خدمة صيدلانية وأدوية متعددة جلبها خيّرون، وتُصرف مجاناً عن طريق كادر صيدلي متخصص تشرف عليه طبيبتا صيدلة، وقد خُصصت للصيدلية غرفة آمنة بالبدروم مع عمل متواصل لمكيفات الهواء لحفظ الدواء من التلف.[٦٦]

٦٥- المصدر نفسه.

٦٦- المصدر نفسه.



ظلت عيادتنا هي المكان الوحيد الذي يستقبل المصابين، والجرحى، والمرضى في كل أم درمان، يأتينا المرضى يحملون روشتات الدواء، ومن مناطق بعيدة، ونعطيهم ما هو ممكن. وبما أن مسيدنا مفتوح أمام الجميع، وسوف يظل حتى آخر ثانية في حياتنا، يزورونا المسلم، والمسيحي، واللاديني، ولن نمنع أحد بسبب انتماء ديني، أو عرقي، أو جهوي، طالما أنه أتانا طائعاً، وبمحض إرادته.

نفكر يومياً في تطوير، وتوسعة عملنا، وبفضل من المولى الكريم، والذي من علينا بشيء من المال، قررنا أن نسخره لما فيه خير البشرية، والحمد لله، وحتى اللحظة، لم يصلنا شخص، ورجع منا مكسور الخاطر.



شيخ الأمين عمر الأمين

والمعروف أن هناك من دعاة الحرب من الصحفين كان قد صرح علانية في أجهزة الإعلام بضرورة ضرب مسيد الأمين متعللاً أنه يأوي جنود الدعم الشريع، ويقدم لهم العون، الأمر الذي جعل الشيخ يخرج بتصريح في أجهزة الإعلام الأسفيري نافيا هذه التهمة التي وجهت إليه، وإلى مسيده، ومما قال في هذا الشأن نقتبس:» هل الإحسان إلى الناس عارٌ أو مسبة تجعل البعض يحرض الناس إلى تعطيلنا، أو قتلنا، بتدمير مسيدنا، وهو بيت من بيوت الله، ويعج

بالأرواح البريئة ؟»[٦٧]

ومضى شيخ الأمين ليقول: «بكل أسف تعرضنا يوم١٣ نوفمبر إلى الضرب ٤ مرات، وعن طريق دانات، وكلها كانت أهدافاً مصوبة، وبدقة نحونا بدوافع القتل لكن العلي القدير حفظنا منها، لان آجالنا لم تكتمل، لكننا نتساءل ولا نتهم أحداً، هل إذا أوقفنا الأكل، والشراب، والعلاج إلى المحتاجين هل سترتاح ضمائر هؤلاء الذين يريدون للناس الجوع، والعطش، والمرض؟ هل هؤلاء من أصحاب الضمائر الحية؟ هل سيكونون سعداء عندما يشاهدون الناس الذين كان يوفر لهم المسيد الأكل، وهم جوعى، أو عطشى، أو مرضى؟[٦٨]

للحصول على الدواء والرعاية الطبية قصة يرويها ل «**أتَر** » أحد القادمين إلى الدار من منطقة الثورات برفقة مُصاب، ويا لها من قصة.

القصة يرويها علينا «هيثم الزين وهو شاب أم درماني وفيّ، تعرض صديقه للإصابة في قدمه بشظية من مقذوف إحدى الدانات بمنطقة الثورة يوم قُصف «مستشفى النو » قبل فترة، وخروجه مؤقتاً من الخدمة، فماذا فعل هيثم؟ يحكي الفتى القصة قائلاً: «كانت قدم صديقي تنزف بغزارة، وتمكنّا مؤقتاً من إيقاف تدفق الدماء بربطها بخرقة قماش

٦٧-
٦٨- المصدر نفسه.

مهترئة. عندما أصابته الشظية حِرنا إلى أين نذهب به مع توقف مستشفى النو، فأشار علينا صاحب عربة «تُكتُك » – وسيلة نقل ركاب صغيرة – بأن نمضي به إلى مسيد شيخ الأمين، وتبرع بإيصالنا إلى منتصف المسافة فقط، فالطريق بعدها محفوف بالمخاطر ، ويشهد اشتباكات. وافقنا وبدأت الرحلة من الثورة حيث تستوقفك ارتكازات الجيش في المنطقة التي يسيطر عليها، وكاد غطاء رأس «شال » كان يعتمره صديقي المصاب في رأسه أن يسبب لنا متاعب في الارتكاز الأخير للجيش بعد شكوك انتابت أحد ضباط المناوبة بأن صديقي المصاب يتبع إلى الدعم السريع، نظراً إلى أن غطاء رأسه يشبه «الكدمول » الذي يلفه جنود الدعم السريع على رؤوسهم .» يضحك هيثم ويضيف قائلاً: «وزاد الطين بلة أن ملامح صديقي تشبه سحنة جنود الدعم السريع. مع ذلك تفهم الضابط الأمر بعد استفسارات انتهت إلى تعرّفه على عدد من شباب المنطقة، وسمح لنا بعدها بمواصلة المسير، لكن بعدها ببضعة أمتار، وقد غادرنا منطقة سيطرة الجيش لتبدأ منطقة سيطرة الدعم السريع، فاجأني صاحب التكتك على طريقة قناة «سبيستون » الشهيرة قائلا: انتهت رحلتنا على كوكب مغامرات! وسأتوقف هنا وعليكم أن تواصلوا المسير إلى المسيد مشياً على الأقدام .»

حيرة وخوف ماذا أفعل الآن؟ وكيف أمضي بصديقي كل هذه المسافة سيراً على الأقدام؟ »، سؤال وحيرة اجتاحتا

رأس هيثم قبل أن يشدّ عزمه ويسند ذراع صديقه على كتفه، ويمضي به إلى داخل أم درمان القديمة، حيث تأتيك القذائف بغتة، وينهمر الرصاص. يروي هيثم: «استوقفونا عند ارتكازات الدعم السريع ثلاث مرات، وكانوا أيضاً يشكون في أن صديقي يتبع للمُستنفَرين – المواطنون الذين انضموا للقتال إلى جانب الجيش بعد الحرب – وأنه أصيب في أحد الاشتباكات، وهو ما ظللنا ننفيه بشدة ونؤكد أننا فقط نود الوصول إلى مسيد شيخ الأمين، وهو الطلب الذي قوبل أخيراً بترحيب كبير من قائد لهم سمح لنا بالمواصلة، بل وطلب من أحد الجنود كان يمتطي دراجة نارية أن يقلّنا معاً إلى الأمام، وهو يردد: الزول ده ما عندنا معاه مشكلة، نحن مشكلتنا مع الكِيزان – بكسر الكاف دون إمالة – في إشارة إلى أنه لا خلاف لهم مع صاحب المسيد .»

أوصلهما صاحب الدراجة إلى شارع يسبق المسيد بقليل، وطلب منهما أن يكملا الباقي سيراً وأكّد لهما أن المنطقة آمنة، فشكراه ومضيا إلى وجهتهما. يروي هيثم: «ما إن دخلنا المسيد حتى استُقبلنا على وجه السرعة ، وتولى ثلاثة أشخاص حمل صديقي ، ومضوا به صوب أحد الأسرّة، وأرقدوه عليه ومن ثم أقبل عليه شابّان يرتديان بالطو الأطباء الأبيض المميّز ، وقدّما له الإسعاف المطلوب. بقيتُ مرافقاً له هناك لستة أيام، وبعد أن بدأ يشعر بالتعافي قلت له: فلنستعد إذن، لنغادر. لكنه فاجأني بأنه لن يغادر ، وسيبقى

هنا ليرد الجميل بخدمة الناس، فغادرت أنا بعد أن حظيتُ بصندوق دواء لعلاج الضغط تستخدمه والدتي، وفشلتُ سابقاً في الحصول عليه .» ويستطرد هيثم متأملاً في ما يعنيه هذا المكان، وما يُمكن أن يعنيه في المشهد الكبير للحرب: «ما شاهدته هناك أمر يفوق الوصف ، وعمل إنساني رفيع، لا أدري لماذا يذهب الطرفان إلى جدة للتفاوض ؟ وهذا المسيد موجود! إنه أصلح مكان يلتقي فيه الفرقاء بعد أن اتفق الجانبان سلفاً بأنه لا هجوم، أو قصف، أو اشتباك في حدود دائرة المسيد .» يطرح هيثم عليّ السؤال بحماس قائلاً: «عليك الله مش أفضل مكان للتفاوض هنا؟ هو مناوي قاعد يجي هنا! »، لأجيبه باقتضاب: «والله برضو فكرة .» وهيثم محق بشأن مناوي، إذ سبق بالفعل قبل اشتعال الحرب أن سجّل رئيس حركة جيش تحرير السودان القائد مني أركو مناوي زيارة إلى شيخ الأمين في مسيده، وأشاد بمبادراته الإنسانية، وودّعه بعدها بسرور قائلاً: «إنت راجل فنان ، وجميل وتعشق الفن، والجمال .»غير أنه الآن، بعد عشر سنوات، عاد الناس إليه ناشدين داخله الخير والأمان.[٦٩]

ما يفعله هذا الرجل يوازي دور الدولة، إن لم يكن يفوقه. خمسون مائدة في الإفطار، ومثلها في الغداء للمقيمين، وطعام لمئات الأواني من العابرين. هذا فعل جبار، فلتُجزه

٦٩- المصدر نفسه، ص ١٤.

السماء خيراً عن ما فعل ويفعل .»

سواءٌ أكان ماضي مسيد الرجل مخالفاً لقيم التصوف الديني التي تحضّ على ترك مباهج الدنيا ومظاهرها أم متماشياً ولغة العصر الحديث، يبقى ما قدّمه هذا المسيد أثناء فترة الحرب كافياً لأن يشكل لوحة فنية باذخة المعاني، والثراء ، ورسالة دينية بليغة سيكون عنوانها الأبرز للأجيال كيف وظف السودانيون ثراءهم الديني والصوفي لخدمة المجتمع إبان فترة الحرب؛ الشيخ الأمين عمر الأمين أنموذجاً.[٧٠] وبما أن مسيدنا مفتوح أمام الجميع وسوف يظل حتى آخر ثانيه في حياتنا يزورونا المسلم والمسيحي واللاديني ، ولن نمنع أحد بسبب إنتماء ديني أو عرقي أو جهوي ، طالما أنه أتانا طائعاً وبمحض إرادته.[٧١] نفكر يومياً في تطوير، وتوسعة عملنا ، وبفضل من المولى الكريم، والذي من علينا بشيء من المال قررنا أن نسخره لما فيه خير البشرية، والحمد لله وحتى اللحظه، لم يصلنا شخص ورجع منا مكسور الخاطر.

٧٠- المصدر نفسه ص ١٧.

٧١- https://www.facebook.com/Sheikhelaminofficial/





تكريم لشيخ الأمين من أهالي أم درمان

الدور الإنساني الذي يقوم به الشيخ المختار في ظل الوضع الراهن، نعم لقد قام الشيخ بحكمته وإحسانه بخلق جو آمن، ومناخ معتدل ملائم ،في أرض تصلح للاستقرار في ظل هذه الحرب العنيفة، مما جعل العديد من الأسر

تسعى إلى جواره، وهي تشعر بالراحة النفسية، والروحية، والجسدية، فقام أولا بمعالجة مشكلة المياه، حيث أمر ابنه البار، وابن ابنه البار مختار حنفي بتجهيز الدفار لسقي الناس مياه الشرب النقية، فأصبح يمد المسيد، والبيوت التي حوله بالماء، بل امتد عطاؤه إلى أن عم بعض أنحاء شمبات الجنوبية، والغربية، وعالج بالحفر بئرا كانت بالقرب من المسجد، فأصبحت موردا، ومعينا لكل الناس، وتستخدم للأغراض الأخرى خلاف الشرب لملوحة طفيفة بها، وكان كلما اشتدت المعارك انقطع التيار الكهربائي فجمع الشيخ بجواره مجموعة من الأحباب، والمريدين الذين يعملون في قطاع الكهرباء، وشكل منهم فريقا للطوارئ، فكانوا ينطلقون من المسيد لصيانة الأعطال، وكان مسيد الشيخ بمثابة مكتب البلاغات المتعلقة بالكهرباء، ومن هنا نشيد بهذه المجموعة الرائعة التي عملت في ظروف حرجة جدا، وجازفت بروحها في سبيل تحقيق مصلحة المواطنين، وأفادوا الناس بحمد الله تعالى، جزاهم الله خير الجزاء، والإحسان.

وأما في المجال الصحي فيتولى الشيخ علاج الناس بآيات الله، وبالأعشاب، والعلاجات البلدية، كالكمون، والحلبة، وغيرها مما هو متوفر في هذه الظروف، وقد فتح أبواب منزله، لكل الناس الخاص، والعام، الصغير، والكبير، بلا حجاب، ولا حاجب. وكان بالمسيد طبيبان؛ طبيب صيدلاني، وآخر بشري، حيث قام الأول بجمع العديد من الأدوية، وبالتعاون

مع الآخر، أصبح مسيد الشيخ المختار بمثابة المشفى لكل مريض يريد العلاج والشفاء.

وعندما كانت المعارك في أشد ضراوتها كان مسيد الشيخ مأوى لكل حائر، وملاذا لكل لائذ، وأمانا لكل محتم، وعائذ، وتجد الجيران يهرعون إليه منذ لحظات الصباح الأولى ليشربوا الشاي، والقهوة، ويقرأون الأدعية والتحصينات(حزب السلام)، ثم يمكثون به إلى أن يتناولوا طعام الفطور، ثم ليعودوا إليه مرة أخرى ليؤدوا صلاة الظهر، وبعدها إلى حلقة الصلاة على النبي ﷺ فيقرأون كتاب المقصد الأسنى في الصلاة والسلام على صاحب المورد الأهنأ (للشيخ المختار)، ثم يستمتعون بشرب القهوة، ويعودون إلى منازلهم ليصلوا به العصر، ويتناولوا طعام الغداء، ثم ينصرفوا، ليعودوا لصلاة المغرب، والاستماع إلى أوراد المغرب، فيستمعوا الراتب السماني، ويمكثوا بالمسجد إلى صلاة العشاء، بعدها يعودون إلى منازلهم، ومن أراد المبيت به فهو متاح للجميع، ومما سبق نلاحظ أن المسجد قد لعب دورا اجتماعيا كبيرا في ظل هذه الحرب، فقد كان بمثابة النادي الإجتماعي بالحي، وقد مارس المسجد في فترة الحرب كل شعائره دون انقطاع، فمهما حمي البأس، واشتد وطيس المعارك فالصلاة قائمة، وتلاوة المولد النبوي الشريف ليلة الاثنين والجمعة قائمة، وصلاة العيدين والجمعة قائمة، الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي يقيمه الشيخ بمجمعه تم في ميقاته المقرر له،

بل احتفلنا مرتين، الأولى عند القفلة، والثانية بربيع الآخر، وصلاة الشيخ: دلائل الوصول إلى حضرة الرسول ﷺ في صبيحة يوم الجمعة قائمة، وهكذا ظل مسيد الشيخ يقف بكل شموخ في وجه هذه الظروف القاتمة، حالكة السواد، ليقوم بدوره المنوط به بكل رحابة وطمأنينة دون الالتفات أو الاستسلام إلى العقبات، والكوارث المتجددة، وكل هذا إنما يأتي، ويتم في ظل التوكل على الله، والاعتماد عليه وحده، وحسن الظن به، وعملا خالصا لوجهه الكريم بلا من ولا أذى .[٧٢].

٧٢- المصدر نفسه.



الشيخ المختار

عبر عدد كبير ممن لجأ إلى مسيد الصوفية عن بالغ شكرهم، وامتنانهم لما وجدوه من كرم، وحفاوة، وهم ضيوف كانت ظروف الحرب قد شردتهم من ديارهم، ومن هؤلاء مصعب الجاك، والذي كتب يقول عن الشيخ المختار شيخ الطريقة السمانية بامتداد شمبات: «الرجال بتعرفو وقت الشدائد، خصوصا رجل القبائل بي الشورة بحلك، وبي ايدو بحلك، وبي جيبو بحلك، المختار الله اختارو في الوقت ده عشان يكون سند لكل أهل شمبات عرفتو فترة الحرب، وكنت بتنمي اعرفو من زمان لانو من الشخصيات النادرة في وقتنا الحالي، مكاسبنا في الحرب أول الحرب الجماعة جابو تذاكر

للسعودية، ياجماعة اسافر كيف وأهلي، وجيراني قاعدين، التكية دي ما حقتي حقت المساكين البجوني، والجامع بقا مليان ٢٤ ساعة، وبقدم وجبتين للموجودين في الوقت داك، شمبات ما فيها تكية غير تكية مسجد شيخ مختار بعدها، قال ليهم: عايزكم تعملو لي قفص للحمام، قالو لكن ماعندك حمام، وطيور، قال ليهم انتو مفتكرين الضيوف الفي الحرب دي بشر بس، المهم اتعمل القفص، وحاليا الطيور على كل أشكالها موجودة في البيت العملو ليها جات الدانات في مربع الجامع، وكل الناس خافت وبقى في خروج جماعي لباقي الأسر الموجودة تعالو اقعدو جمبي، وان شاء الله كلنا نقول: حولينا، وما علينا طيب ياشيخنا اطلع رد وقال: أنا ربنا جاب لي الحسنات في مكاني أمشي أخليها أنا شغال لي الله، والجاتني بتجيني من الله، والله حافظنا بيكم.

القدمو في فترة الحرب مجهود دولة كاملة توفير الموية، أكل، شراب، حتى الكهرباء الشغالة دي القروش بتاعت السلوك الناس بتساهم، وهو بشيل الباقي، وبعد مرات يقول: الخير باسط أدوانا الأجر خلونا ندفع نحن برانا احببتك في الله، وما تقدمه لمجتمع شمبات، اذا كتبنا من هنا لحدي الممات، مابديك حقك بس بقول المختار لي الله اختار انو اكون هو السند لأهالي شمبات، الأرض في الحرب ياالمختار ليك الجنة عمل الخير للغير جهاد، عمل الخير نية صادقة عمل الخير

ما قروش، عمل الخير تتقدم الصفوف وكن مختار[٧٣].

وعن دور المسيد في ظل هذه الأزمة التي تعيشها البلاد منذ نشوب القتال بين القوات المسلحة وقوات الدعم السريع، يكتب الدكتور علي وداعة في سرد رائع عن دور المسيد ليقول: «قبل أن ندلف لدور المسيد في الظروف الآنية التي يمر بها السودان، نجد أن للمسيد دورا متعاظما، حيث ظلت الكثير من المسايد، وما زالت تقدم خدماتها للسكان من حولها، وكل من يقصدها من الزوار، ونجد أن هذه الخدمات تعدت الإطعام، وغيرها من المساعدات إلى الخدمات الطبية، والتعليمية، والتي تطورت من مرحلة الخلوة، وتحفيظ كتاب الله الكريم إلى الدراسة المنتظمة حيث تحولت الكثير منها إلى معاهد تعليمية تمنح الشهادات المختلفة باختلاف المراحل التعليمية، حتى الجامعة[٧٤].

٧٣- مصعب الجاك. https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=٧١٠١٦٤٠٧٣٩٨٩٥٨٢١&id=١٠٠٠٠١٤٩٨٩٦١٩٧٨&mibextid=Nif٥oz

٧٤- مسودة ورقية من طرف علي وداعة عن دور المسيد في مواجهة تداعيات حرب أبريل ٢٠٢٣م مرسلة بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٤م.



لهذا نجد الكثير من خلفاء السجادات يعملون دون كلل، وفي صمت تام دون عون من الحكومات في تطوير الخدمات التي يقدمها المسيد، كما أسلفنا، ويلاحظ أن التطور طال حتى خدمات الإطعام، والسكن التي كان يقدمها المسيد من التقليدية المتعارف عليها إلى خدمات فندقية، تناسب زوار المسيد من داخل، وخارج السودان، حيث تحتاج خدمتهم إلى نظام خاص كما في التجربة التركية، وبجانب خدمات الأطعام نجد قاعات الدرس ومعينات التدريس التي تسهل العملية التعليمية.

الحرب التي يعاني منها السودان اليوم نسأل الله أن يخرج السودان منها أكثر قوة، متحدا، متمسكا بعاداته، وتقاليده السمحة التي عرف بها، والتي كانت نتاج تربية هذه المسايد، لم يجد إنسان السودان النازح من هذه الحرب العبثية في جميع مناطق الحرب ملاذا آمن غير هذه البقع التي ترفع رايات

التصوف عاليا حيث المسايد، ومن حولها من السكان، فكانت، وكانوا نعم الملاذ، حيث أعانت، وأعانوا على إغاثة الملهوف، وكهف أمان الخائف[٧٥].

المسيد علاوة على دوره في تقديم الوجبات بصورة منتظمة يعمل المسيد هذه الأيام على توزيع المواد العينية طيلة فترة هذه الحرب، حيث أتاه أصحاب الحاجة من النازحين، وغيرهم لتأمين حاجة ذويه من الإطعام بصفة يومية، حيث يتولى كبار المقدمين في توزيع هذه المواد لمحتاجيها دون أن يشعر أحد بالحرج، أو الإنكسار، من جهة أخرى عملت هذه المسايد على إيجاد سكن داخل المدن، والقرى التي تتبع إلى هذه المسايد، حيث وفرت السكن المريح للعديد من الأسرة دون أجرا، أو مناً، أو أذى، بل تعدى الأمر ذلك فقام أتباع هذه المسايد من المواطنين بالتكفل بهؤلاء الضيوف الأكارم فخففوا عليهم أثر الصدمة، و أمنوا روعاتهم.

أعتقد أن ما قدمته هذه الحرب من دروس تتمثل في أن ثقة هؤلاء المنكوبين وغيرهم، مما يتابع الحالة السودانية في هذه المسايد زادت، ولم يخب ظنهم، حيث لم تخذلهم هذه المسايد حين قضدوها في حين غابت العديد من الأجسام، والكيانات التي كانت تتشدق بالعمل الإنساني، والإسلامي عندما احتاجها الناس، لهذا ستظل هذه المسايد المنارات،

٧٥- المصدر نفسه.

والبقع المقصودة لكل جائع، والملاذ الآمن لكل خائف، نسأل الله لها الحفظ، والعون، والممد لتواصل رسالتها القاصدة لوجه الله[٧٦].



شيخ الطيب الشيخ الصديق الشيخ برير

يقول الدكتور بساطي أحمد العباس: «على مر السنين ظل المسيد يحتفظ بدوره التعليمي، والجهادي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي تجاه المجتمع المحيط به، وعلى مستوى الدولة - والشواهد كثيرة في ذلك-، وما زال في عطائه المتمثل منذ بدء الحرب في الإيواء، وتقديم الطعام، والكساء، والعلاج؛ وقد عجّ المسيد بنشاط ليس له مثيل

٧٦- المصدر نفسه.

بعد هذه الأزمة، وبعد نزوح المواطنين المتأثرين بالحرب؛ فقد التحق العديد من الأطفال بتعليم القرآن، ونشطت البرامج التدريبية في مجال التنمية البشرية –التطوير الذاتي والإداري– ومجال العمل الطوعي؛ بالإضافة لمبادراته التي لم تتوقف في حل الأزمة الحالية، وجسّد صورة إنسانية رائعة لأهل المسيد في تكاتفهم، وتعاضدهم مع كل من يقصدهم، فهم كالجسد الواحد، فأبوابهم مفتوحة لإيواء القريب، وخلاويهم مهيأة لتلقي التعليم، والعيادات الملحقة بالمسيد مفتوحة لتلقي العلاج، وكذلك القاعات المحلقة به تقدم الوعي بالتدريب في كافة المجالات، واستقبال أصحاب الرؤى، والحلول السياسية، ولم يتوان كل من ينتسب إلى المسيد عن خدمة المجتمع كل حسب تخصصه[٧٧].

وعلى سبيل المثال، نرى في وسائل التواصل الجتماعي المجهودات الجبارة، والحراك الإجتماعي والثقافي التدريبي الذي يحدث في مسيد طابت الشيخ عبد المحمود؛ حيث قدم المسيد جرعات من التدريب في كافة المجلات للمجتمع المحلي، وذلك إيماناً منهم بأن تطوير البلاد لمؤسساتها مربوط بتطوير، وتدريب الكادر البشري.

وكذلك نرى الإشادة بالجهود الهادفة الى تكوين أكبر كتلة مدنية لوقف الحرب، وسرعة معالجة الأوضاع

٧٧- مقابلة مع بساطي أحمد العباس، مصدر سابق.

الإنسانية؛ ومناشدة جميع القوى الوطنية للإسهام، والمشاركة لإيقاف المآسي الإنسانية، وعودة المسار الانتقالي، والحكم المدني التي بدرت من مسيد كدباس[٧٨] . ومن مسايد الصوفية التي لعبت، ومازالت دورا كبيرا في مواجهة تداعيات حرب ١٥ أبريل في البلاد مسيد الشيخ الطيب برير في بورتسودان، حيث يأوي إثنيات متعددة تعيش في سلام، وانسجام ويقدم لهم الإرشاد النفسي لمعالجة آثار النزوح، والعلاج المجاني، والأكل، والشرب، كما تقدم محاضرات في موضوعات متعددة، بعضها يتحدث عن جذور مشكلات السودان، ودور التصوف في نشر قيم المحبة والسلام[٧٩] .

وتحدثت في بعض تلك المحاضرات عن قصور أهل التصوف للانتشار في أماكن النزاعات، وعلى وجه الخصوص في دارفور، وأقاصي النيل الأزرق، ولتخفيف حدة النزاعات القبلية، وترقيق مشاعر الناس، ونبز مجتمعات الكراهية، والعنصرية، وباعتبار أن التصوف يمثل في السودان مرحلة أعلى من الانتماء القبلي، ويسعى لخلق نموذج المواطنة حيث يتساوى جميع الناس، ويرى الشيخ الطيب برير أنه لو أمهلت الأوضاع لعشر سنوات لاستطاع عبر المبادرة المجتمعية التنموية أن يصنع نموذجا في كل ولايات السودان

٧٨- المصدر نفسه.

٧٩- مقابلة مع المعتصم أحمد الحاج، مصدر سابق.

لمجتمع المحبة، والسلام يقتدي به الناس، حكاما، ومواطنين

كما أن إهمال دراسة تجربة أهل التصوف في اللامركزية والافادة منها في إدارة شئون الناس، وإبراز تلك التجارب، كتجربة الطريقة السمانية ومراكزها المتعددة والتي تلتقي في هدف واحد، وعبر تلك المبادرة نريد أن نصل إلى أن يقول كل منا (أنا سوداني) لنعيش في محبة وسلام، وذلك هدف استراتيجي للمبادرة المجتمعية التنموية، نريد أن نصل لذلك الهدف بطول نفس وعبر تنمية المجتمع، إن أهل المسيد يبشرون بأن لكل حرب نهاية، ويكون دورهم الأكبر بعد أن تسكت آلة الحرب، وبعد أن عرف الناس معاناتها، ويسعون أن لا تتكرر.

إن مهمة التصوف مهمة تربوية، وهي إعداد الإنسان الصالح الذي ظاهره كباطنه في شفافيته، واستقامته، وإيثاره للغير، فإذا كانت تلك الأساليب التربوية أصبحت سلوكا عاما للمواطن العادي، أو الذي يلي وظيفة، أو الذي يحكم، يكون التصوف قد نجح في أداء رسالته .

لقد أحدثت فترة الإنقاذ الكثير من التخريب في العديد من الطرق، انقساما، وبذلا للمال، واستقطابا، أقعدهم عن ممارسة رسالتهم، ولاتزال تلك الروح منعكسة في الأداء العام، مما أفقدهم حرية الاختيار، ومجابهة التحديات الجديدة المتمثلة

في الأجيال التي تعاني من التوهان، كما أن الطرق مطلوب منها تحديث أساليب الدعوة، والنهج الصوفي، والمواءمة بين الحداثة ، والتجديد[٨٠] .

كما هو الحال عند بقية مسايد الصوفية في البلاد، فقد استقبل مسيد الشيخ الجعلي بكدباس أعدادا غفيرة من متضرري حرب الخامس عشر من أبريل، يقول صلاح البشير وهو من الشخصيات اللصيقة بالمسيد: «أتت اسر وعوائل كثيرة، وكذلك أفراد من غير المتزوجين من مختلف الأعمار، جاءوا من مناطق مختلفة، وليس لهم علاقة بالتصوف، ولا بالطريقة، فتم استقبلهم ومن ثم قدمت، وماتزال تقدم لهم الخدمات من ماكل، ومشرب، وغيرها من الضروريات»

وعن دور مسيد الصوفية في الأزمة الحالية التي تمر بها البلاد جراء حرب ١٥ أبريل يقول الدكتور عبدالباقي أحمد عبدالباقي مايلي: «أهل التصوف لما لهم دور عظيم في المحافظه على السلام الاجتماعي إضافة لدورهم العظيم في جمع الشمل، وتوحيد الكلمة، ولما لهم من مكانة، واحترام من الجميع قاموا، ولا يزالون بجهود لوقف الحرب، وإقناع الأطراف المتصارعه بوقف العدائيات»[٨١]

٨٠-المصدر نفسه.

٨١-مقابلة مع عبدالباقي أحمد عبدالباقي. عبر الواتساب– دبلن – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٢م

يقول الدكتور أحمد الأبوابي عن دور المسيد في الأزمة الحالية يقول: «أما دور المسيد فهو بيت السودانيين الأكبر الذي يسع الجميع بغض النظر عن توجهاتهم، أو انتماءاتهم لذلك فقد وجد الناس في مسايد السودان في شتى بقاعه اللقمة والأمان، و هنا لا بد من الإشارة للدور الإيجابي والفذ الذي يقوم به احد أبناء التصوف، وشيوخه، وهو شيخ الأمين الذي ثبت في امتحان هذه الحرب، ولم يتزلزل، ولم يهرب، بل كان ملجأ، وملاذا للآلاف من السودانيين، يقدم لهم المأوى، والطعام، و العلاج[٨٢]، «قام بعض رجال التصوف بأدوار عظيمة نشير هنا لمسيد شيخ الأمين، والذي فتح داره، ومسيده للجميع، وكذلك كل الطرق الصوفية في أمدرمان والمدن الأخرى»[٨٣]

المتابع لحركة المسايد في السودان يجد أن المسيد ما هو إلا سودان مصغر، يجتمع فيه أشتات القبائل من كل بقاع السودان، حيث تجمعهم محبة حقيقية عمادها حب الله ورسوله ﷺ حيث تتصاغر فيها المصالح الدنيوية، وتتعاظم فيها قيم حب الإيثار، وخدمة المجتمع، هذه التربية الفريدة التي تذكر بمجتمع المدينة الأول الذي جمع أشتات العرب مع أخوتهم من العجم بعد أن كانوا متحاربين، تسودهم العنصرية، والكراهية، واستقطاب القبيلة الحاد، فتحولوا

٨٢-مقابلة مع أحمد الأبوابي. عبر الواتساب- الباحة – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٣
٨٣-مقابلة مع عبدالباقي أحمد عبدالباقي. عبر الواتساب- دبلن – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٢م

بنعمة الله، وتربية سيدي رسول الله ﷺ إلى مجتمع قوي إذا أشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر، والحمى، فسادوا العالم، ونشروا قيم العدل، والمساوة وكريم الأخلاق، في كل مجتمعات العالم، وسار على هذا النهج صحابته من الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم التابعين، وتابع التابعين من العلماء الربانيين.

هذا النموذج الطيب هو الذي تعيشه جميع مسايد السودان، ويمثل في نظري المخرج الحقيقي للسودان من هذا المأزق، حيث يعتبر المسيد المكان الطبيعي لمعالجة كل التشوهات الحادثة الآن، لهذا نحتاج لإفراد المساحة لهذه المسايد، لتعمل عبر آلياتها المعروفة، والتي تجد القبول من الناس، ويجتمعوا عليها برضا تام، وفيها بعد أن ينال الفرد حظه من التربية، والعلم يرجع إلى مسقط رأسه ليواصل تربية شيخه في تزكية المجتمع، لتسوده القيم الطيبة التى تربى عليها من كريم الأخلاق، التي تضمن تماسك المجتمع وقوته، وهذا ما تفقده الكيانات الأخرى وخاصة الإسلامية منها.

وإذا أخذنا تجربة السلطنة الزرقاء في السودان القديم نجدها هي النموذج الحقيقي الذي يترجم ماذكرناه أعلاه. حيث جمعت السلطنة الزرقاء السودان بشكله الحالي بعد أن كان دويلات متفرقة لا يجمع بينها شئ غير الجوار المتناحر، والحرب المستمرة، اعتمدت السلطنة الزرقاء على تربية

المسيد، وتزكيته للمجتمع في تشكيل حكوماتها، فسادت قيم العدل وكريم الأخلاق فجمعت كل هذه القبائل المتناحرة والدويلات المتحاربة تحت مظلة دولة واحدة قوية أستطاعت أن تحكم لخمسة قرون كأطول فترة حكم للدولة السودانية، فصلاح البطانة من العلماء الربانيين قاد إلى صلاح الحكام واستقرار الدولة. هذا الأستقرار دفع الكثير من القبائل من داخل السودان وخارجه إلى قصد هذه الدولة والعيش في كنفها فشكلت مجتمع وسط السودان المتسامح[٨٤].

استقبل مسيد الشريف محمد الأمين بكركوج كبقية مسايد الصوفية الفأرين من جحيم الحرب التي اندلعت في عاصمة البلاد في ١٥ أبريل، وقد ذهبت فضائية تلفزيون السودان للمنطقة للوقوف على الوضع هناك... أجرت القناة لقاء مع الشريف أبوبكر الشريف التجاني وعدد من الوافدين. بدا الشريف أبوبكر الحديث قايلا.. لكركوج تاريخ قديم وعريق. حضر الوافدون إلينا من ولاية الخرطوم و بمختلف مسمياتهم وقبايلهم وألوانهم أتوا إلينا لمقر آمن، حيث وجدوا القرآن وجدوا الطعام ووجدوا العشرة، لذلك هذه الوفود التي أتتنا من الخرطوم بالنسبة لنا كطرق صوفية هو في صميم عملنا في الدعوة هو أن تطعم، وترشد، وتربي، لذلك هذه المصيبة التي وقعت في السودان، وهذه الفتنة نسأل الله أن تنجلي، فنحن قد قمنا بكل ما أوتينا، وما أستطعنا من قوة

٨٤- المصدر نفسه.

بفضل الله وتوفيقه لنا، لنعلب هذا الدور الإنساني العظيم، فقد وفرنا لهم المأوى، وفرنا الطعام، وفرنا لهم العلم، فكثير من هؤلاء الوافدين، أتوا إلينا بأسرهم، وأطفالهم فمنهم من دخل الخلوة لحفظ القرآن الكريم مدة هذه الأشهر الماضية، فالحمد لله الحياة عندنا طيبة، بل هنالك تلاحم بين الجميع، و بكل صدر رحب قبلناهم، فليس هناك تميز بين سخص وآخر وهم من كل السودان، فهنا أبناء الغرب، والوسط، والشرق وأبناء جنوب السودان، وجبال النوبة، وهم معنا الأن بالمسيد تجمعهم حلقة واحدة، تعبر عن الإنسانية فنحن بخير»[٨٥].



وفي ذات التغطية من مسيد كركوج كان استطلاع ثلاث من السيدات النازحات تقول إحداهن:» طبعنا جينا كركوج مسيد الشريف التجاني فاستقبلنا الشريف محمد (الخليفة

٨٥- https://www.facebook.com/hisham.akasha/videos/٨٤٩٢١٥٩٢/٣٦٤٤٦٣٤/?idorvanity=١٦٧٤٩٠٩٧٢٦١٥١٢٩٢

الحالي) بأحسن طيبة، ماقصروا معانا، العيان ودوهو المستشفي، ماكليننا ومشربيننا ومديننا غرف ومامحتاجين لحاجة».



تبادر سيدة أخرى وقد أتت من الخرطوم وهي ممتنة لما وجدوه من حسن استقبال، وتوفير مأوى، ومشرب، ومسكن إذ تقول: «جينا من شمبات من الخرطوم من خامس عيد الفطر مع أول بداية الحرب جينا طوالي هنا لكركوج فالحمد لله وصلنا، وكأننا نزلنا في بيتنا ما محتاجين لشيء الحمدلله»



وتقول سيدة ثالثة ممن لجأ إلى كركوج حيث مسيد الشريف محمد الأمين الخاتم، نسمعها وهي تعبر عن شكرها لأهل كركوج وخلفاء الشريف محمد الأمين قائلة: «نحن جينا من الشعبية بحري الخرطوم وجينا لكركوج من بدري، عيدنا الضحية هنا، ما شاءالله وجدنا أهل كركوج أهل كرم وهم أصلا مشهورين بالكرم»[٨٦].



لاشك أن الذي يجري في البلاد من أحداث عنف، واقتتال سيتوقف يوما ما، وهو نقطة مفصلية بين ماض مضى

٨٦- المصدر نفسه

ومستقبل أت، وهو يحمل بشريات ميلاد جديد للوطن، ينعم فيه المواطن بالخير، والسلام، والرخاء، إيمانا منا قاطعا بقول المولى عز وجل (إن بعد العسر يسرا). ويبشر أهل الطريق الصوفي بخير قادم يعم أرجاء الوطن العزيز، وهي بشريات عبر عنها الكثير والكثير منهم صراحة وتلويحا.

وفي خاتمة هذه الأسطر من هذه الدراسة، وفي ذات السياق دعونا نختم بهذه الحادثة التي حكاها الوزير إبراهيم منعم منصور عن لقائه بالشيخ الشريف الناجي، وهو يبشر بسودان واعد بالخير، يقول الوزير: «قامت الانتفاضة أبريل ١٩٨٥م واعتقلت لفترة ذهبت بعد الافراج عني إلى النهود حيث تم الاحتفال ببراءتي، وفي طريق العودة زرت الشريف الناجي، ومعي أخي منصور منعم وابن عمي محمد صالح منصور والد المحامي صلاح الدين، وكانت التحضيرات للانتخابات على أشدها، وأشارت كل الدلائل إلى احتمال فوز الصادق المهدي، وتوليه رئاسة الوزارة وحدوث استقرار للبلاد ...

حيث يروي منعم منصور عن الشيخ الشريف الناجي في معرض «ونسة» دارت بينهم قوله في ذلك العام المضطرم بالتحولات: (الصادق يفوز لكن البلد يعمها «فوضى» لا يصدقها أحد، وما بقدر يعمل شيئ واحد لحد ما يستلمها «عسكري» وفي عهد «العسكري» يعم البلاد الظلم بقدر

لم يسبق له مثيل ولايصدقه أحد ويشمل كل مناحي الحياة: قتل أبرياء وسجن وتعذيب وقطع معايش، ولكن يخلص البلد منه واحد يتفق مع الأمريكان ويطلع الزيت والحالة تتبدل الي أحسن والناس تغَنى وترتاح.)، وكان ابن عمي محمد صالح منصور حاضراً ما ذكرت ، ويمزح مع الشريف الناجي من وقت لآخر وسأله: إن كان يحضر الزمن داء رد عليه إنت يا محمد صالح إن شاء الله تحضره»[٨٧].

٨٧- مذكرات إبراهيم منعم منصور. الجزء الأول، مطابع السودان للعملة، ٢٠١٨، ص- ٢٧٥.

المراجع

أبو عاقلة الترابي. دور الصوفية في المجتمع. -https://ar-ar.face
%D8%88%AF%D9%book.com/majmaasufi/photos/

حاتم الياس. "السِيَاسَة وسجادة المتصوِّفة. https://www.
sudanakhbar.com/٣٢٣٦٢

خالد إبراهيم المجذوبي. الخِطَاب الصوفي بين الفتنة والاغتراب.

رشا روابح. الخِطَاب الصوفي ودوره في مكافحة التطرف وصناعة السلام العالمي. مجلة الإحياء ٢٠١٨،ص ٣.

السيد نجم. التكايا.. فنادق للتعبد والراحة بلا مقابل. مقال منشور على موقع مجلة البيان

الصادق المهدي. نحو مرجعية إسلامية متجددة ومتحررة من التعامل الإنكفائي في الماضي والتعامل الاستلابي مع الوافد. القاهرة مكتبة جريرة الورد. ٢٠١٠،ص ٢٥٤.

صلاح شرارة. الحرب في السودان . لماذا لا يتم اللجوء للمكون الصوفي؟

طارق المادح. الإنقاذ ثورة للذكر. مجلة الفيض ص١٣.

طلال مدثر. في أم درمان: حينما تغيَّر كل شيء.. صارت كلّ الطرق تؤدي الي مَسِيد الشيخ الأأمين. أتر الأسبوعية، العدد (٥) ، الخميس، ٩ نوفمبر ٢٠٢٣ م، ص ١٢.

عارف نشيد. سودان ثورتك وخليلك سوداني. استشارة ١٨- مايو- ٢٠١٩م.

عبد القادر محمود. الطوائف الدِّينِيَّة في السُودَانِ.

عبد اللطيف البوني و عبد اللطيف سعيد. البرعي رجل الوقت.

عبدالجليل عبدالله صالح. الدور الديني والاجتماعي والأدبي للطريقة السمانية بأم عيدان. دار عزة للنشر، الخرطوم ٢٠٢١

عبدالجليل عبدالله صالح. الصوفية والسياسة في السودان. دار المصورات للنشر – الخرطوم ٢٠٢٢، ص ١١٦

عبدالرحمن حسن أحمد حامد. الصوفية أول من أنشأ منظمة إنسانية في التاريخ/https://www.youtube.com
٩EyyAqQ_watch?v=k٥j

عثمان عبدالله أحمد يوسف. الطُرُق الصوفية وعلاقتها بالحكومات في السُودَانِ (١٥١٠-١٨٩٨). بحث مقدم لنيل درجة الماجستير (تاريخ) لكلية الآداب جامعة النيلين، ٢٠٠٢م.

عثمان عبدالله أحمد يوسف. الطُرُق الصوفية وعلاقتها بالحكومات في السُودَانِ (١٥١٠-١٨٩٨). بحث مقدم لنيل درجة الماجستير (تاريخ) لكلية الآداب جامعة النيلين، ٢٠٠٢م.

عزام حسن فرح. الشيوخ المحس في كتاب ود ضيف الله

عمر مُحَمَّد الأمين. عرض لرواية Yearning of the Bird باللغة الإنجليزية، www. Sudares.com استشارة ٧- أغسطس — ٢٠١٩م.

عن الصوفية في السودان ودورها في الصراع الحالي.

محمد خيرالله عوض الله. الحل عند أهل التصوف. http:// almndranews.com/٥٥٩٣/

محمد سعيد القدال. الإسلام والسياسة في السودان. دار الجيل - بيروت. ١٩٩٢م.

محمد سعيد القدال. الإمام المهدي محمد أحمد بن عبد الله ١٨٤٤-١٨٨٥، دار الجيل بيروت، ١٩٩٢.

مرتضى الغالي. بعد الليل ما جنْ: ناس المؤتمر الوطني في الكريدة..! مقال منشور بتاريخ ١٩/مارس/٢٠١٩م.

مسودة ورقية من طرف المعتصم أحمد الحاج، بورتسودان

بتاريخ ١/١٢/٢٠٢٣م

مسودة ورقية من طرف شيخ الشاعر سيف الدين سليمان، عن رؤية الصوفية للحرب بتاريخ ١٨/١٢/٢٠٢٣م.

مسودة ورقية من طرف علي وداعة عن دور المسيد في مواجهة تداعيات حرب أبريل ٢٠٢٣م مرسلة بتاريخ ١٤/١٢/٢٠٢٣م.

منصور خالد. السودان أهوال الحرب.. وطموحات السلام قصة بلدين. دار تراث- لندن- ٢٠٠٣.

منصور خالد. الفجر الكاذب: نميري وتحريف الشريعة. ص- ٣٠٤

يحي العوض. الطريق لاتجاه واحد.. السربون — كركوج- الزريبة قبسات من مجاهدات الشيخ بشير الصامت. دار القوم للطباعة والنشر، الخرطوم، الطبعة الثانية بدون تاريخ، ص- ٧.

المقابلات

مقابلة مع دكتور منصور صديق الخليل. إمام وخطيب مسجد الشيخ المختار بامتداد شمبات، بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٣م.

مقابلة مع الأستاذة حنان المصباح. عبر الواتساب – أم عيدان– بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٢م.

مقابلة مع دكتور محمد الفاتح حياتي. ، ولاية الجزيرة– عبر الواتساب بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٢م.

مقابلة مع دكتور أبوالقاسم صباح السعيد. الرياض بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٢٨م

مقابلة مع باشمهندس محجوب صلاح الدين. عبر الواتساب بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٣٠م

مقابلة مع دكتور بساطي أحمد عباس. عبر الواتساب– بكين – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٨م.

مقال من طرف البروفيسور المعتصم أحمد الحاج. بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١١

مقابلة مع دكتور عبدالباقي أحمد عبدالباقي. عبر الواتساب– دبلن – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٢م

مقابلة مع دكتور علي وداعة. عبر الواتساب – الدويم – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٤م.

مقابلة مع دكتور أحمد الأبوابي. عبر الواتساب– الباحة – بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/١٣

يهدف هذا البحث إلى معرفة رؤية أهل التصوف للحرب التي نشبت في الخامس عشر من شهر أبريل 2023م بين القوات المسلحة وقوات الدعم السريـع. كما يهدف إلى بيان الدور الذي اطلع به المسيد لهذه المجمعات الصوفية في توفير الإيواء، والغذاء، والدواء. ولجمع البيانات كان قد أجريت مقابلة مع بعض المتصوفة والمهتمين بالظاهرة الصوفية في المجتمع السوداني، وقد استعنت أيضا على بعض المعلومات، والمواد المصورة من بعض المجمعات مباشرة: ما هو الدور الذي قام به المسيد في مواجهة الأزمة الإنسانية التي أفرزتها الحرب؟

وكديدن الحروب -دوما- من استهداف للبشر بالإيذاء، والعنف البدني، والنفسي، والقتل، والتقتيل، والتدمير، والخراب المصاحب لذلك لبنية العمران البشري خلافا لرسالة الاستخلاف في الأرض، وعمرانها.

كانت ومازالت رؤية أهل التصوف للحرب بأنها حرب المتضرر فيها الوطن، والمواطن، فتجدهم من الداعمين لوقفها، مكثرين من الدعاء، والابتهال إلى الله لتهدئة النفوس، وتحكيم صوت العقل في إيقافها، أما عن دور المسيد خلال هذه الفترة فقد جاءت إفادتهم أن المسيد كان هو الملاذ الآمن الذي لجأ إليه الضيوف، والوافدون، وذلك على حد تعبير عدد من شارك في المعلومات الواردة في البحث.

د. عبدالجليل عبدالله صالح

